الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

ⴰⵖⵏⴰⵡⵉⵙ ⵏ ⵜⵣⵣⵉⵡⵉⵜ ⴰⵎⵙⴰⵡⴰⵍ ⵏ ⵜⵣⵣⵉⵡⵉⵜ ⴰⵣⵣⴰⵢⵔⵉ

ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵎⵓⵍⵓⴷ ⵎⵎⴻⵔⵉ ⵜⵉⵣⵉ ⵡⵣⵓ

جامعة مولود معمري – تيزي وزو

كلية الآداب واللغات

قسم : اللّغة العربية وآدابها

UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU

FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES

DEPARTEMENT : LANGUE ET LITTERATURE ARABES

الرقم: ...../...../ 2023

رقم الترتيب:

الرقم التسلسلي:

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر (ل.م.د)

الميدان: اللغة والأدب العربي.

الفرع: دراسات أدبية.

التخصص: أدب عربي حديث ومعاصر.

تجليات ظاهرة الاِغتراب في رواية بريد اللّيل لـ "هدى بركات"

إعداد الطالبتين:

– أمال منعوم

– دهية لعربي

إشراف الأستاذة:

– د. أمينة بوعلامات

أعضاء لجنة المناقشة:

– د. رزيقة بوشلقية، أستاذة محاضرة صنف "ب"، جامعة مولود معمري، تيزي وزو ..... رئيسة

– د. أمينة بوعلامات، أستاذة محاضرة، صنف "ب"، جامعة مولود معمري، تيزي وزو .....مشرفة ومقرّرة

– أ. صالح معتوق، أستاذ مساعد صنف "ب"، جامعة مولود معمري، تيزي وزو ..... ممتحنا

السنة الجامعية: 2022–2023

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نتقدّم بالشّكر الجزيل إلى أستاذتنا المشرفة **"أمينة بوعلامات"** التي ساعدتنا كثيرًا لأجل وصول البحث إلى صورته النهائية، بما أسدته لنا من نصائح وإرشادات، وبما قدمته من مراجع كانت نعم السّند والموجّه.

كما لا يفوتنا أن نتقدّم بالشّكر الجزيل والإمتنان العميق لكل أعضاء اللّجنة على تكلفهم عناء قراءة المذكرة وتصويبها.

أمـال وديهية

إهـــــداء

أهدي عملي هذا لأبي وأمّي، أطال الله عُمْريهما وحفظهما من كلّ سُوء، فهما من ربياني وضحيَّا كثيرًا من أجل نجاحي.

كما أهدي نجاحي إلى إخواتي وأخواتي وأصدقائي الّذين كانوا نعم السّند وشجعوني لإنهاء البحث دون أن أنسى الأستاذة المشرفة على ما بذلته من مجهودات في تصويب البحث وتقويمه.

منعوم أمـال

إهـــــداء

أهدي ثمرة جهدي المتواضع:

إلى من وهبوني الحياة والأمل، والنشأة على شغف الإطلاع والمعرفة، ومن علّموني أن أرتقي سلم الحياة بحكمة وصبرًا، ثراء وإحسانًا، ووفاء لهما: والدي العزيز، ووالدتي العزيزة.

إلى من وهبني الله نعمة وجودهم في حياتي إلى العقد المتين من كانوا عونًا لي في رحلة بحثي.

إلى من كاتفتني ونحن نشق الطّريق معًا نحو النجاح في مسيرتنا العلمية.

وأخيرًا إلى كلّ من ساعدني، وكان له دور من قريب أو بعيد في إتمام هذه الدراسة، سائلة المولى عزّ وجل أن يجزي الجميع خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

ثمّ إلى كل طالب "علم يسعى بعلمه"، ليفيد الإسلام والمسلمين بكل ما أعطاه الله من علم ومعرفة.

لعربي ديهية

مقدمة

مقدمة:

تبرز ظاهرة الاغتراب كإحدى الظّواهر العويصة، التي تمثل صراع الإنسان مع واقعه ومحيطه في عصرنا الحاضر، وعليه فالمتتبع للإبداع الرّوائي –أثناء مقاربته للواقع الاجتماعي والسياسي للمجتمع واستجابته لخصائص العصر الذي ينبع فيه– لا يُمكن له أن يبقى بعيدًا عن سمة الاغتراب، فالظاهرة ممتدة في ثنايا الواقع وجذورها متعلقة فيه.

يمكننا القول أنّ الرّواية أكثر الأجناس الأدبية قدرة على التعامل مع المتغيرات والمنعطفات الكثيرة، والفن الأمثل للكشف عن بواطن الإنسان وعوالمه النّفسية، وانفعالاته المتصارعة وتحليلها تحليلاً متأنيًا، وعلى اعتبار أنّ الاغتراب يمكن أن يكون حالة مجتمعية موضوعية، كما أنّه وليد الفترات الانتقالية، التي يمرّ بها المجتمع الإنساني فقد تجسدت سمة الاغتراب بشكل بارز في رواية "بريد الليل" للكاتبة "هدى بركات" وهو الأمر الذي استكشفناه من خلال توظيف شخصيات روائية مغتربة، وتصوير حالاتها الشعورية النّاجمة عن حالات النّفس المتأزمة.

وكان اِهتمامنا بالإبداع الروائي العربي عامة، وأدب "هدى بركات" خاصة من الدوافع الأساسية التي جعلتنا نهتم بهذه الرّواية خاصّة وأنّها نالت جائزة "البوكر". وقد سعينا من خلال هذا البحث لتحقيق الأهداف الآتية:

- التعرّف على ظاهرة الاغتراب ومصادرها.
- تقديم نبذة عن الرّواية للقارئ.
- تقريب القارئ من الإنتاج الروائي العربي الجديد أو المعاصر وجمالياته ومضامينه المختلفة.

وقد حاولنا في البحث الإجابة على مجموعة من التساؤلات:

- ما مفهوم ظاهرة الاغتراب؟
- ما هي أهم أنماط الاغتراب التي برزت في رواية "بريد اللّيل"؟

- كيف كانت ردّة فعل الشخصيات في هذه الرواية تجاه غربتها؟

وانطلاقًا من هذه التساؤلات وسعيا منا للإحاطة بجوانب الموضوع تشكلت طريقة تناوله، حيث اشتملت هذه الدّراسة على فصلين وخاتمة، ملحق وقائمة المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

خصصنا الفصل الأوّل الموسوم بـ "ماهية الاغتراب وتجلياته في الأدب العربي" لدراسة مفهوم المصطلح لغة واصطلاحًا، إضافة إلى تعرضنا للتصور الغربي والعربي له كما تحدّثنا عن مظاهره وأسبابه وأشكاله.

أمّا الفصل الثّاني وهو الفصل التطبيقي فلقد حاولنا من خلاله البحث عن أهم أنواع الاغتراب التي ظهرت في رواية بريد الليل، فكانت كالتالي: الاغتراب المكاني والاغتراب الاجتماعي والنفسي والاغتراب السياسي وكان موسومًا بتجليات الاغتراب في رواية بريد اللّيل.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع، الجمع بين آليات المنهج الوصفي التحليلي الذي اعتمدناه في معالجتنا للمتن الرّوائي محل الدّراسة واستقرائه للوقوف عند مضامينه، وآليات المنهج التّاريخي الذي تتبعنا من خلاله تطوّر مصطلح الاغتراب.

وإن كان لابدّ لنا من ذكر الصعوبات التي واجهتنا أثناء إنجازنا لبحثنا هذا، فنقول أنّها عدم قدرتنا على الفصل بين نمطي الاغتراب الاجتماعي والنفسي كونهما يتداخلان في الكثير من الجوانب والأبعاد والنتائج.

وقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع من أجل وصول البحث إلى مرحلته النهائية نذكر منها:

1- يحي الجبوري "الحنين والغربة في الشّعر العربي".

2- وليد الصديق ميلود "الاغتراب السياسي في الوسط الطلابي".

3- أحمد علي الفلاحي "الاغتراب في الشّعر العربي".

وأخيرًا لا ندّعي أننّا عالجنا كلّ ما يتعلّق بموضوع البحث، لكننا حاولنا قدر المستطاع الإلمام بجوانبه في ضوء إرشادات وتوجيهات أستاذتنا الفاضلة أمينة بوعلامات، كما لا يفوتنا أن نشكر الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الموقرّة على ما سيقدمونه من نصائح لتصويب البحث ونثمن آراءهم السديدة.

والله نرجو السداد والتّوفيق

الفصل الأوّل

ماهية الاغتراب وتجلياته في الأدب العربي

أولاً: المفهوم اللّغوي والاصطلاحي.

1- المفهوم اللغوي.

2- المفهوم الاصطلاحي.

ثانيًا: التصور الغربي والعربي للاغتراب.

1- التصور الغربي.

2- التصور العربي.

ثالثًا: الاغتراب مظاهره وأسبابه وأشكاله.

1- مظاهر الاغتراب.

2- أسباب الاغتراب.

3- أشكال الاغتراب.

4- الاغتراب في الرّواية العربية

أولاً: المفهوم اللّغوي والاصطلاحي.

1- مصطلح الاغتراب:

أ- التحديد اللّغوي:

ورَد لفظ الاغتراب في المعاجم العربية بمعنى الغربة المكانية، أي البعد عن الوطن، فنجد في لسان العرب لِابن منظور في مادة غرُب في قوله: «الغُربة: النّوى والبُعد، والتغريبُ: النفي عن البلد، والغُربة والغروب النّزوح عن الوطن ومنه الفعل اِغترب، يغتربُ أي نزح عن الوطن ومنه الفعل اِغترب، يغترب أي نزح عن الوطن ونأى عنه»[1].

قال زهير بن أبي سلمى:

ومنه يغتربْ يحسبُ عدُوًّا صديقه ومنه لا يظلم الناس يُظلم[2]

حيث يصف الشّاعر حال الإنسان الذي يبتعد عن وطنه أو محلّ إقامته، ويضطر للعيش في مكان آخر، يُصبح فيه غريبًا حيث لا يستطيع أن يميز العدوّ من الصديق.

ويقول الإمام الشافعي (150 هـ- 204 هـ):

ما في المقام لذي عقلٍ وذي أدبٍ من راحة فدعِ الأوطان واِغتربِ[3]

يقصد الإمام في بيته هذا أنّ الأوطان مقبرة لذوي العلم والأدب، لذا نَصَحَ الشاعر القارئ بالنزوح عنها والاغتراب إلى حيث يستطيع أن يوظف علمه بالشّكل الصحيح.

ويقول أيضا:

تغرّب عن الأوطان في طلب العلاَ وسافرْ ففي الأسفار خمسُ فوائدِ[4]

---

[1]- جمال الدين اِبن منظور، "لسان العرب"، مادة (غ ر ب)، دار الصادر، بيروت، ط2، المجلد الأوّل، 1994، ص 638.

[2]- زهير بن أبي سلمى، الديوان، اِعتنى به وشرحه حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2005، ص 70.

[3]- الإمام الشافعي، الديوان، اِعتنى به وشرحه عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2005، ط2، ص 27.

[4]- المرجع نفسه، ص 49.

يستهل الشّاعر في أبياته بالحديث عن فكرة السفر وطلب الأمجاد في غير أرض الوطن سواء أكان ذلك المجد علمًا أم سيادة أو غير ذلك، إذْ أنّ في الأسفار العديد من الفوائد وهو سيأتي على ذكر خمسةٍ منها.

والمعنى نفسه يتكرر في معجم المحيط للفيروز آبادي حيث قال: «الغربة بالضمّ: النزوح عن الوطن وأيضًا الاغتراب والتغرّب، ونجد أيضًا غرّب: غاب، كغرَب وبَعُدَ واِغترب تزّوج في غير الأقارب»[1]، وفي الحديث النبوي الشّريف «اِغتربوا لا تُحْضُووا»[2].

أي لا يتزوج الرّجل القرابة فيجرء ولده ضاويًا*.

كما ورد في معجم الوسيط تعريف الاغتراب: «غرَّب في الأرض أمعن فيها فسافر سفرًا بعيدًا واِغترب فُلانٌ نزح عن الوطن وفلانُ تزوج في غير الأقارب والغريب الجل لس من القوم والبلد (ج) غرباء والغربة: النّوى والبعد»[3].

ورد هذا المعنى في كتاب معجم اللّغة لِابن فارس، «الغُربة: البُعد عن الوطن ويُقال غرّبتِ الدّارُ ومن هذا الباب غُرُوب الشّمس، كأنّه بُعدها عن وجه الأرض وشأو مغرّبٌ أي بعيد ويقولون هل من مغرّبة خبر يُريدون خبرًا أتى من بُعدٍ»[4]، ولاحظنا من خلال تتبعنا للمصطلح في المعاجم العربية تعدّد المعاني التي يتسع لها لفظ الاغتراب، ولكّننا اِخترنا منها ما كان له صلة مباشرة ببحثنا وهو البعد عن الوطن والانفصال عن الآخرين سواء أكان ذلك عن اِختيار منهم ورضا أو كان عن طريق الإجبار بالنفي والإبعاد القسري، وهذا ما يُمثّل الجانب المادّي من الاغتراب، حيث اِقتصرت أغلب المعاجم عليه، ولم يرد في أيّ منها جانبه المعنوي وهو

---

[1]– محد الدين الفيروز آبادي، المعجم المحيط، إعداد وتقديم عبد الرحمن المركشي، مادة (غ ر ب)، دار إحياء التراث العربي، ج1، بيروت، ط1997، ص 206– 207.

[2]– الجوهري الصحاح، مادة (ع ر ب)، المجلد الأول، تحقيق أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، القاهرة، 1956 ص 191.

* – الهزيل والضعيف.

[3]– إبراهيم مصطفى وأحمد حسن زيات وحامد عبد القادر، المعجم الوسيط، دار العودة، إسطنبول، 1989، ص ص 647– 648.

[4]– اِبن فارس، معجم اللّغة تحقيق عبد السلام هارون، المجلد الرابع، دار الجيل، ط1، بيروت، 1991، ص 421.

الاغتراب النفسي سواء عن الذات أم عن الآخرين في المجتمع بمعنى «الاغتراب عن المبادئ والقيم والأفكار والتقاليد والأعراف التي يتمسك بها الناس في المجتمع»[1].

وهو أيضًا جانب من جوانب دراستنا للنصوص الرّوائية، ونجد الاغتراب بهذا المعنى عند الأصبهاني في قوله: «فقد الأحبة في الوطن غربة»[2]، كما نجد أبي حيان التوحيدي يقول: «أغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه»[3]، ومن خلال هتين المقولتين ندرك أن البعد عن الوطن ليس شرطًا للاغتراب، فقد يكون الإنسان داخل وطنه وبين أهله وخلانّه لكّنه يشعر بالاغتراب عنهم، وذلك نتيجة لمجموعة من العوامل النفسية المتعلقة بالتّركيب الخاص بشخصيته، ممّا يجعله غير قادر التواؤم مع ما يسود في مجتمع من قيم، فالاغتراب النفسي هو أكبر اغتراب يعيشه الإنسان، لأنّه قد يصل إلى درجة إحساسه بغربته عن نفسه وذاته.

سنتطرّق إلى مفهوم الاغتراب، في كلّ من اللّغتين الفرنسية والإنجليزية بالإضافة إلى اللّغة الألمانية، على اِعتبار أنّ أهم الدراسات التي اهتمت بهذه الظاهرة جاءت بهذه اللّغات.

تعود أصول كلمة (Aliénation) الفرنسية وكلمة (Aliénation) الإنجليزية اللّتان تدلان على الاغتراب إلى الكلمة اللاّتينية (Alenatio)، وهي اِسم يستمّد معناه من الفعل اللاّتيني (Alienare) بمعنى ينقل أو يحوّل أو يسلّم أو يبتعد، وهذا الفعل بدوره مأخوذ من كلمة لاتينية أخرى هي (Alienus)، التي تغير الانتماء إلى الأخر، وهي مشتقة من (Alius) بمعنى الآخر[4].

ترتبط هذه الكلمة في اللّغات المشار إليها بما يتعلّق بالملكية، أي نقل ملكية شيء ما إلى شخص آخر، فهذا المعنى اللّغوي يرد في معجم (Quilket) للّغة الفرنسية فيقال: «اِغترب

---

[1]- بنعلي قريش، الاغتراب في الشعر العربي الحديث (1920- 1945)، مخطوطة أطروحة دكتوراه، جامعة الجلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2006- 2007، ص 15.

[2]- أبو القفح الأصهاني، أدب الغرباء، تح: صلح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 1972 ص 32.

[3]- أبو حيان التوحيدي، الإشارات الإلهية، تحقيق: عبد الرحمان بدوي، دار العلم، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ص 81.

[4]- يُنظر: سمير عبد السلام، مفهوم الاغتراب عند هاربت ماركيوز، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2003، ص 21.

واِستلب بمعنى التنازل عن ملكية»[1]، إذًا الاغتراب بهذه المعنى يُقصد به «نقل ملكية شيء ما إلى شخص آخر أو التخلي (مجانا أو بالبيع أو المقايضة) عن ملكية شيء ما تحويله لآخر "غيري"، كأن أتخلّى لغيري عن منزل أو سيارة أو قطعة أرض، أو غير ذلك»[2]. وورد المعنى نفسه في اللّغة الإنجليزية المتداولة في العصور الوسطى، «حيث كانت تفيد قيام شخص ما باعتبار أو تغريب أو تأجير شيء يمتلكه، كالأراضي والمنازل إلى الغير».

ومن هنا اِكتسبت الكلمة بعد الانفصال أو الغربة أو الاضمحلال في الآخر، أي في غير الذّات، فالملكية جزء من الذّات الإنسانية وعندما تتسلخ عنها تفقد الذات شيئا من كيانها وتختلف عما كانت عليه من قبل.

كما أنّها تأخذ معنى الاضطراب العقلي، حيث إنّ لفظ (Aliene) يعني الشّخص المختّل أو المعتوه الذي فقد القدرة على إدراك ماهيته «فما دام الشّخص مختلاً عقليًا فهو مغترب عن ذاته وعن العالم الخارجي»[3].

ويمكن اِستخدام لفظ الاغتراب بمعنى الغربة بين البشر، حيث إنّ فعل (Alienare) يفيد معنى «التسبب في فتور علاقة ودّية مع شخص آخر أو في حدوث اِنفصال»[4]، وبالتّالي يصبح كل منهما غريبًا عن الآخر، أي أنّه يعيش حالة اِغتراب.

كما ورد تعريف آخر للاغتراب في معجم لاروس بقوله: «الحالة التي تنتج عن الترك أو المنع من حق طبيعي: قبول اِستلاب حرية الإنسان»[5]، أي أنّ الشخص يصبح بسبب الظروف السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية عبدًا للأشياء فاقدًا الحرية وبالتّالي يعامل نفسه

---

[1]– Transmission volontaire au légale à autrui de propriété d'un droit, Voir : Dictionnaire Quillet de la langue Française, Tome 01, Libraire Artistide, Quillet, Paris, 1975, P 171.

[2]– سالم بيطار، اِغتراب الإنسان وحريته، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2003، ص 26.

[3]– المرجع نفسه، ص 27.

[4]– إبراهيم محمود، حول الاغتراب الكافكاوي، ورواية المسخ نموذجا، عالم الفكر، مجلد 15، ع02، 1984، ص 79.

[5]– Abandonner , Perdre un droit, une qualité essentielle, Soumettre quelqu'un à des contraintes son libre arbitre, voir : Grand Larousse de la langue Française, Volume1, Libre Larousse, Paris, 1971, P 118.

كشيء وعليه، فإنّ الإنسان المغترب يعاني من نقص معيّن في شخصيته، إما في عقله أو حقوقه مما يجعله مُستلبًا.

وفي اللّغة الألمانية لم ترد لفظة الاغتراب بمعنى النقل القانوني للملكية، ولكن وردت بمعنى: «النقل بواسطة السطوّ والسلب والأخذ عنوة»[1]، كما ترتبط كلمة الاغتراب بالغربة (entfremdung)، وهذا الاصطلاح يعني التغريب (Vertremdung) أو السطو أو السلب اللاتيني (Alienus) واللّفظ الإنجليزي (alien)، حيث يعني الانتماء إلى آخر أو التعلق به[2].

أي أن أنتمي لغيري وأتعلق به وأُصبح رهن إرادته، فالمصطلح الألماني يدل في معناه المباشر قبل توظيفه في مجال الفلسفة على العملية، التي يصبح فيها الشّخص غريبًا والمعنى في اللّغة الألمانية قريب من المعنى في اللّغة العربيّة، كما نجد مفاهيم ودلالات مختلفة للّفظة اِغتراب في القواميس الإسبانية، وهي غالبا تصب في معنى الانتقال المكاني والنزوح عن الوطن، وكذا التي تدلّ على عدم التوافق والانسجام مع اللّحظة الآنية، ففي قاموس الأكاديمية الملكية (Dictionnaire de la real accademia) ورد لفظ الغربة (exilio) بمعنى البعد عن الوطن، وأنّ الغريب (exiliado) هو المُبعد عن وطنه لأسباب سياسية بشكل عام، وكذلك من معانيها النفي عن الوطن والانفصال عن الأرض التي يعيش فيها الإنسان[3]، وبالتالي تكاد القواميس الأجنبية تجمع على ثلاثة معان للاغتراب: الأوّل بمعنى نقل الملكية، والثّاني: الاضطراب العقلي، والأخير: الغربة بين البشر، فإذا قارننا بين المعنى اللّغوي في اللّغة العربية والمعنى اللّغوي في اللّغات الأجنبية نجد أنّ العربية اِقتصرت على الجانب المادّي له (الغربة المكانية)، إلا إذا لاحظنا في لسان العرب (الذّهاب والتنحي عن النّاس)، ولكّنها لا تعبّر مباشرة

[1]– ريتشاد شاخت، الإغتراب، ترجمة: كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدرامات والنشر، بيروت، 1980، ص 64.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص 63.

[3]– Exilio : Spracion de une perona de la tierre en qui viae–exiliado : expatriaction generalmente por nativos politicos, voir : Dictionario de la lengera espanola, real academia espanala, vigesimotercera edicion : http://www.rae.es/diccionario–de–ta–lengua–espanela/ la–23 a–edition–2014.

عن معنى الاغتراب النفسي في حين أنّ لفظ الاغتراب في المعاجم الأجنبية ينطوي على هذا المعنى إضافة إلى معاني أخرى.

وبعد هذه الوقفة مع المعنى اللّغوي للاغتراب سنتطرّق لمعناه الاصطلاحي.

ب- المفهوم اِلاصطلاحي للاغتراب:

وردت لفظة الاغتراب في المعنى الاصطلاحي بدلالات مختلفة، وهذا نظرًا لدراسة هذا المصطلح في شتى العلوم المختلفة فهو ظاهرة إنسانية وجدت في مختلف أنماط الحياة الاجتماعية وفي كل الثقافات ولكن بدرجات متفاوتة، ذلك أنّ الاغتراب قد يعني الانفصال وعدم الانتماء، وكما يُعرف أيضًا على أنّه وعي الفرد بالصراع القائم بذاته والبيئة المحيطة به وبصورة تتجسد في الشعور بعدم الانتماء والسخط والقلق[1]، فالاغتراب إذن حالة تسيطر على الفرد فتجعله غريبًا عن واقعه ومجتمعه.

كما جاء أيضًا بمعنى «شعور متأزم مصاحب بالقلق والحزن، وهو لا ينتاب المرء من حين لآخر، وإنّما هو حالة مصاحبة له باستمرار تزداد قوةً وضعفًا في بعض الأحيان، ولكّنها لا تفارقه وهكذا يحس الفرد بالانفصال عن الواقع والذّات، فتحدد له ثورة داخلية تدفعه إلى الرفض والتمرد»[2]، وهذا يدل على أنّ الاغتراب حالة تلازم الفرد وتشعره بالعزلة والعجز فيصير غريبًا عن وسطه وينفصل عن واقعه ويرفضه ويتمرد عليه.

وقد أعطت الباحثة "فاطمة الطيب قزيمة" مفهومًا دقيقًا للاغتراب وقالت: «أن يكون الإنسان متباعدًا في الزّمان رغم تلاصقه بالمكان. ونحلّل ذلك بقول إيليا أبي ماضي:

لست أشكو إنّ شكا غيري النوى غربة الأجسام ليست بإغتراب»[3].

---

[1]- أحمد علي الفلاحي، الاغتراب في الشّعر العربي في القرن 7هـ، دراسة اجتماعية نفسية، دار فيداء للنشر والتوزيع عمان، ط1، 1443هـ- 2013م، ص 13.

[2]- محمد الهادي بوطارن، الاغتراب في الشعر العربي الروماني، دار الكتاب الحديث، القاهرة، دط، 2010، ص 47.

[3]- فاطمة الطيب قزيمة، الاغتراب في شعر محمد الشلطامي، المجلة الجامعة، ع17، المجلد الثاني، أغسطس 2015 ص 27.

وفي تعريف آخر أنّه «انحلال الرّابطة بين الفرد والمجتمع، أي العجز المادي عن اِحتلال المكان الذي ينبغي للمرء أن يحتله وشعوره بالتّبعية أو بحس الانتماء إلى شخص أو آلية شعور الفرد وإحساسه بالتبعية أي عدم اِنسجامه مع المحيط الذي يعيش فيه»[1].

يشير مصطلح الاغتراب إلى معنى «عدم الاندماج النفسي والفكري في المجتمع، ويرى بعض الباحثين في ذلك نوعًا من الانفصال عن المجتمع وثقافته»[2].

وفي سياق آخر يمكن أن نقول على إنّ الاغتراب هو عدم تلاؤم الفرد مع المحيط الذي يعيش فيه أي الانفصال عنه فكريًا وثقافيًا واِجتماعيًا.

ويُعرّف أيضًا أنّه «القيم والمثل الإنسانية والخضوع لواقع اِجتماعي يتحكم فيه الإنسان ويستعبده حينئذٍ، يشعر الإنسان بالإنفصال والإنعزال عن الآخرين وحتى عن ذاته».

يعني تجريد الإنسان من قيمه الأخلاقية ويسلم نفسه لواقع يتحكم فيه أي فقدانه الإرادة.

ويرى شيخ الإسلام (الهروي الأنصاري) أنّ الإغتراب «أمر يشار به إلى الإنفراد عن الأكفاء»[3].

وهذا يدلّ على أنّ كل شخص اِنفرد عن غيره بميزة ما أو بوصف مخالف عنهم، فهو غريب عنهم.

ثانيًا: التصوّر الغربي والتصوّر العربي للإغتراب.

يُعد التصور الغربي سبّاقًا إلى البحث في ظاهرة الإغتراب، وتتبع أصولها ومنابعها الأولى ولذلك اِرتأينا أن تكون الإنطلاقة منه، لكّن ذلك لا ينفي اِهتمام التصوّر العربي هو الآخر بهذه الظاهرة، حيث نجد صداها في كتابات العديد من المفكرين والفلاسفة العرب

[1]– رمضان حينوفي، الإغتراب في شعر محمد الماغوط، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2015، ص 22.

[2]– إقبال محمد رشيد صالح الحمداني، الإغتراب– التمرد قلق المستقبل–، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1 2011، ص 85.

[3]– فاطمة طحطح، الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، منشورات كلية الآداب بالرباط، ط1، 1993، ص 33.

والمعنى الديني* للإغتراب هو الأصل، حيث نجده على علاقة مع بقية المعاني التي يتخذها في البيئات الأخرى للعلوم الإنسانية المختلفة وحتى يتسنى لنا إدراك هذه المعاني سنحاول تتبع تطور الدلالات التي تقمصها المصطلح عند مختلف المفكرين والفلاسفة سواء في التصوّر الغربي أو في التصوّر العربي، كما سنقف عند آرائهم وإسهاماتهم وكتاباتهم عن الاغتراب.

1- التصور الغربي:

يمثّل الإغتراب ظاهرة إنسانية وُجدت بوجود الإنسان، وكلّما تعقدت العوامل والظروف الباعثة عليها، كلّما زادت تشابُكًا واِستعصت على الفهم، فهي تختلف في درجاتها بإختلاف العصور وبمرور الزمن، والإنسان كلّما أدرك أنّه عاجز على الإنسجام مع محيطه والتأقلم مع ما يسود فيه من قيم وأفكار اِغترب عنه وتناقض مع مفاهيمه ومتطلباته، وهذا يدخله في حالة صراع مع الآخرين، فيتّرسخ شعوره بعدم الإنتماء إليهم، فما هي جذور الإغتراب في التصور الغربي؟

تشير بعض الدراسات إلى أنّ الجذور الأولى للإغتراب هي جذور يونانية أوْرَدَهُ الكثير من مؤرخي الفلسفة لكتابات أفلاطون، فهو أوّل من أسّس لفكرة الإغتراب بوعي، حيث يعدّ «فكره بذاته أوّل اِغتراب واع، عندما قسّم العالم إلى مطلق ووجود، والمطلق هو عالم المُثل والوجود هو عالم الضلال والصور المشوشة، ثمّ كانت جمهوريته تجسيدًا لهذه الفكرة الإغترابية»[1].

* – الإغتراب في البيئة الدينية هو اِنفصام الإنسان عن نفسه إثر تحوله إلى الكون أو إلى النظام والمؤسسات وسائر الماديات الأخرى، التي تلفته عنه عالمه الداخلي، ينظر: كاميليا عبد المفتاح، الشعر العربي القديم، دار المطبوعات الامعية الإسكندرية، 2008، ص 05.

وبدأ إغتراب الإنسان بنزول الإنسان إلى الأرض واِغترابه عن وطنه الأصلي الفردوسي، ولذلك اِرتبط معناه بالخطيئة، وقد اِستخدم في العصور الوسطى لتعريف العلاقة بين الإنسان والله واِستعمله كالفن ليشير للموت الرّوحي الذي يعني اِغتراب روح الإنسان عن الله، ينظر: السيد علي، الإغتراب في التنظيمات الإجتماعية، مكتبة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، 1997 ص 20.

[1]– عادل الألوسي، الإغتراب والعبقرية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص 12.

والمثال هو ما كان أفلاطون يطمح إلى تحقيقه، أو هو الصورة التي كان يُريد لمجتمعه أن يكون عليها، لأنّه لم يكن يشعر بالرضا عليه، «فقد كان أفلاطون مغتربًا بالنسبة لأخلاقيات عصره ومجتمعه [....] وما إعتبار الواقع ظلاّ لفكره كانت تتمحور في ذهنه طوال حياته سميّت بالمثال إلاّ تأكيدًا على وجود الإغتراب»[1].

وعبارة سقراط الشهيرة "اِعرف نفسك" نموذج حقيقي لإغتراب الإنسان عن ذاته، فهو بعدم إدراكه لماهيته ومعرفته لنفسه ينفصل عنها ويصبح غريبًا ضائعًا، ولاحقًا وجّدت فكرة الإغتراب صداها في أوروبا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لدى منظّري فكرة العقد الاجتماعي ولعل جون جاك روسو(Jean-Jacques Rousseau) هو أوّل من اِستخدم كلمة الغربة بمعناها السياسي «عندما تحدّث عن اِغتراب حقوق الفرد الطبيعية لصالح المجتمع»[2]، فعندما الفرد يتخلى لأفراد آخرين عن حقوقه، فإنّه بذلك يأخذ طريقه إلى العزلة داخل وطنه، ومن هنا يأتي الشعور بالعزلة[3]، التي هي مظهر أساسي من مظاهر الإغتراب، ولكن في نظر روسو فإنّ هذا النّوع من الإغتراب إيجابي، لأنّه يشتمل على تضحية الفرد في سبيل تحقيق هدف نبيل يتمثّل في قيام الدولة والمجتمع، ولن يأتي ذلك إلاّ عن طريق تخليّه عن ممارسة السيادة الخاصّة به (كما كان عليه الأمر في حالة الفطرة)، حيث كان كل فرد مسؤولاً عن حكم نفسه بنفسه، ولكن «بموجب هذه النظرية تغترب الحقوق الطبيعية للفرد عنه وتنتقل إلى الدولة ويغدو الإنسان الذي كان حرًا مستقلا تابعًا للدولة، بل وعابدًا لها»[4].

أمّا النّوع الثّاني للإغتراب فهو سلبي ومختلف تمامًا عن المفهوم السياسي للإغتراب وهو يتعلّق بكتابات روسو في سياق نقده للحضارة والمجتمع الغربيين، فهو يرى الحضارة الغربية سلبت الإنسان ذاته، وجعلته عبدا للمؤسسات الإجتماعية، والنّماذج السلوكية التي أنشأتها[5].

---

[1]- إبراهم محمود، حول الإغتراب الكافكاوي، مجلة عالم الفكر، ص 82.

[2]- شتا السيد علي، الإغتراب في التنظيمات الإجتماعية، ص 32.

[3]- يُنظر: إرنست فيتشر، ضرورة الفن، ترجمة: أسعد حليم، الهيئة العامة، القاهرة، 1971، ص 105.

[4]- سميرة سلامي، الإغتراب في الشعر العباسي، القرن 4هـ، دار الينابيع، دمشق، ط1، 2000، ص 24.

[5]- بنعلي قريش، الإغتراب في الشعر العربي الحديث (1920- 1945)، ص 17.

فتعتبر الحضارة في اِعتقاده عامل من عوامل إفساد الإنسان وفصله عن الطبيعة التي كانت توفّر له الإنسجام بين عالمه الدّاخلي والخارجي، وبلحاقه بهذا التطوّر فقد إنسجامه وتوافقه مع الطبيعة، الأمر الذي يؤدي إلى تفاقم غربته، فـ «التطوّر الذي يصحب الإنسان في حالة التمدين والتحضير، وهو يسير به نحو اِكتمال المجتمع، يسير به في الوقت ذاته نحو إفساده. بمعنى أنّ هذا التطوّر يتميّز بالتناقض الحاد الذي يوحّده بين المجتمع في حالة اِكتماله وبين النزوع الإنساني في حالة اِغترابه»[1].

ويكون قهر الإغتراب بالنسبة له عن طريق العودة إلى المحبّة والتعاطف الإنساني الّذي كانت تتسم بهما حياة الفطرة (الطبيعية)، فروسو إذن ينظر إلى الإغتراب من وجهتين: سياسية وهي الجانب الإيجابي منه، مضافًا إليها الوجهة الثانية المتمثلة في الشقاق الذي يُحدثه التمدين بين الإنسان وبين المجتمع، وهو الوجه السلبي للإغتراب ولعلّ «الجذور الإجتماعية لهذا المفهوم إنّما تنتمي إلى طبيعة حياة روسو، فمن المعروف أن روسو عاش غريبا بين البشر وكان يشعر بأنّه غريب في العالم، إذ أنّ معارضته للمجتمع وعدم رضوخه لمسلماته الفكرية والإجتماعية والسياسية جعلته يتمرّد وينعزل عن النّاس وينطوي على نفسه»[2].

ومن خلال سيرة حياته تبيّن كيف أنّه كان محاربًا من الجميع، ثم أخذ المفهوم مسارًا آخر مع هيغل (Heagel)، «فقد كان العصر الذي عاشه هيغل لا يخلو من تأزّم وتمزّق ودائما ما تكون الأزمات التّاريخية وليدة تؤثر وتتناقض يرتبط بالعلاقة بين الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه»[3].

ويرى إريك فروم(Eric From) أنّ هيغل هو أوّل من صاغ مفهوم الإغتراب، حيث يحدّده على أنّه:

---

[1]– عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشّعر الجاهلي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، د.ت، ص 11.

[2]– زامل صالح، تحول المثال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003، ص 23.

[3]–عبد القادر عبد الحميد زيدان، التّمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ص 22.

1- غربة الإنسان عن نفسه: أي الفرد مغتربًا عن ذاته، وذلك الإغتراب ناجم عن فقدان الكليّة وتكون النتيجة تفريق النفس عن الطبيعة الجوهرية.

2- غربة البنية الإجتماعية: وهي الوجه الثّاني لغربة الفرد وانفصاله[1]. فالإغتراب الأول مردّه إلى التصادم بين الطبيعة الجوهرية للإنسان وبين وضعه العام، أمّا الثّاني فناجم عن صلة الفرد بالمجتمع أو البنية الإجتماعية المحيطة به (الدولة أو المجتمع ككل)، ويرى هيغل أنّ الإنسان حتى يقهر الاغتراب عليه أن يندمج في هذه البنية الإجتماعية، وذلك بإغترابه عن ذاته والإنفصال عنها، وبالتّالي يتسنى له أن ينسجم مع الكلية ويتوافق معها وعليه «ويحدث اِتحاد الفرد بالجوهر الإجتماعي نتيجة لتنازله عن فرديته»[2]. أي إنّه يقهر الإغتراب بالإغتراب «وقد وصل الإغتراب إلى إزدواجية دلالة المصطلح، فهو يري فيه معنيين: معنى إيجابي ومعنى سلبي[*] »[3]. ويتمثل المعنى الأوّل في تخارج الرّوح وتجليها على نحو إبداعي، أمّا الثّاني فيتمثل في عدم قدرة الذّات على التعرّف على ذاتها في مخلوقاتها من الأشياء والموضوعات[4]. ويعد هيغل حصر مفهوم الإغتراب في جانبه السلبي، فماركس الّذي يعدّ الإغتراب الإقتصادي أصلا لجميع أنواع الإغتراب الأخرى، ويتخذ المفهوم عنده معنى أعمق وهو «الأكثر شيوعًا وتأثيرًا في الفكر المعاصر من أي مفهوم آخر، وربما يعود ذلك إلى بساطة ما يطرحه، وإلى اِرتباطه بالواقع المادّي المباشر، خاصة وأنّه يوظّفه في النواحي الإقتصادية»[5]، كما أنه تحدث عن «اِغتراب واقعي ملموس، وجاءت أفكاره مستخلصة من التناقضات الحادّة بين الفرد وذاته، وبين

---

[1]- عزيز السيد حاسم، تأملات في الحضارة والإغتراب، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1987 ص 43.

[2]- قيس النوري، الإغتراب اِصطلاحًا، مجلة عالم الفكر، عدد خاص عن الإغتراب، ع01، 1979، ص 50.

[*]- اِستخدام هيغل مصطلحين في اللغة الألمانية للدلالة على مفهوم الإغتراب، فكلمة (entaeusserung) هي الخاصة بالمعنى الإيجابي و (entremdung) هي الخاصة بالمعنى السلبي.

[3]- ينظر: صار نور الدين، الإغتراب بين القمة المعرفية والقيمة الجمالية، مجلة الموقف الأدبي، موقع اِتحاد الكتاب العرب، www.audu.dam.org

[4]- ينظر: فاطمة حميد السويدي، الإغتراب في الشعر الأموي، مكتبة مدبولي، القاهرة: 1997، ص 04.

[5]- سمير ركات، الإغتراب بين رأي باجة وأبو حيان التوحيدي، في: www.kotobarobia.com

الفرد وعمله، وبين الفرد ومجتمعه، وهو يرى أنّ الرأسمالية جرّدت الفرد من إنسانيّته وحوّلته إلى مجرّد سلعة حين أكّد أنّ العامل مستغل، وأنّه مغترب في عمله في النظام الرأسمالي، حيث يصبح منتوجه غريبًا عنه»[1].

فالإغتراب إذن نتيجة طبيعة لعملية الإنتاج، حيث يغترب الإنسان عمّا يقوم بصنعه يغترب عن كيانه وذاته، ويفسر ذلك بأنّ العامل يفقد جوهره كإنسان حرّ واعٍ، فهو ينتج من أجل ربّ العمل بأجر زهيد، وعلى الرّغم من أنّ الإنسان هو صاحب العمل الذي ينتجه فهو يرتبط به إلاّ أنّه يصبح غريبًا عنه، لأنّه يذهب لشخص آخر يستفيد منه «فالإنتاج يصبح موضوعًا غريبًا بالنسبة لمنتجه ولا يشعر منتجه بأي رابطة به، هذه العملية تولد اِغترابًا شاملاً بسبب آلية الإستغلال التي يتحكم بها رب العمل»[2].

ويعتقد ماركس(Karl Max) أنّ قهر الإغتراب مرهون بزوال الملكية الخاصّة، كما أنّه يرجع ظهوره إلى الجوانب المادية في الحياة (الإقتصادية) ويُهمل بواعثه المعنويّة (الثّقافية والفكرية والدينية) التي هي روابط يتصل الفرد من خلالها مع الأخرين ومن تتبعنا لما قاله ماركس وحلّله نجد أنّه يؤكد على أمرين:

الأوّل: عندما يكون الإنسان في حالة العمل، وخاصة عندما يمارس هذا العمل في نطاق رأسمالي، فإنّه يكون دائمًا في حالة اِغتراب عن قواه الإبداعية.

والآخر: شعوره بالغربة نتيجة لإحساسه أنّ وجوده هو من أجل الإنتاج بدلاً من أن يكون الإنتاج موجودًا من أجله[3].

ومن خلال ما سبق تتوضح أطروحة ماركس عن العامل المغترب على النحو التالي: «كلما زاد نتاج العامل قلّ ما يستهلكه، وكلّما اِزدادت القيم التي يخلقها، تدنّت قيمته، وكلّما اِزداد

[1]– قيس عادي أحمد، الإنسان المعاصر عند هاربت ماركيوز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1 1980، ص 97.

[2]– إبراهيم محمود، حول الإغتراب الكافكاوي ورواية المسخ نموذجًا، عالم الفكر، ص 83.

[3]– عبد القادر زيدان، الغربة والتمرد في الشعر الجاهلي، ص 21.

كمال شكل ما ينتج زاد تشوّهه (العامل)، وكلّما إزداد الطابع الحضاري لما ينتج اِزدادت همجيته، وكلّما اِزدادت القوّة الكامنة في العمل أصبح العامل عاجزًا، وكلّما توهجت الرّوح التي يودعها في العمل تقلصت روحه وغدا عبدًا للطبيعة»[1].

يعد كل من ماركس وهيغل من أبرز المفكرين الغربيين الذين عالجوا موضوع الاغتراب ففي حين كانت معالجة هيغل له مجردة، أي أنّه ربطه بالعقل جاءت معالجة ماركس ملموسة حرّرت المفهوم من تجريدات هيغل، كما يعتقد ماركس عكس ما يعتقد هيغل أنّ قهر الإغتراب يكون عن طريق الثورة ومحاربة المستغلين، لا عن طريق التخلّي عن الذّات والتسليم والإتحاد بالبنية الإجتماعية.

وشهد المصطلح فيما بعد رواجًا واِستخدامًا كبيرين في الفلسفة الوجودية، التي يشكل مفهوم الإغتراب فيها موضوعا خصبًا تناوله أعلامها بالدراسة، وقد بدأت هذه الفلسفة بالنموذج (كير كجار) الذي كان يرى أنّ الإنسان «مغترب عن ذاته وعما حوله واليأس صفة داخل نسيج وجوده، وقد رأى أنّ تجاوز الإغتراب يتم عن طريق الدين ثمّ تطوّرت هذه الفلسفة، وتفرّعت إلى شقين، الشّق الذي يمثّل الفلسفة الوجودية المتدنيّة*، والشّق الذي يمثّل الفلسفة الوجودية الملحدة**»[2].

وتختلف نظرة الفريقين لظاهرة الإغتراب، حيث تعتقد الوجودية المتدنية أنّ تجاوز الإغتراب يكمن في التسليم بالدّين المسيحي، في حين أنّ الوجودية الملحدة ترى أنّ الإغتراب ميتافيزيقي الأصل، وأنّ الإنسان مهما حاول التخلّص منه وقهره فإنّه لن يُفلح في ذلك ومن هذا المنطلق اِختلفت الوجودية مع غيرها من العلوم والفلسفات الأخرى «ولعلّ الإختلاف الأساسي [....] يكمن في أنّ الفلسفات والعلوم السابقة على الوجودية ترى إمكانية علاج الإغتراب، حيث

---

[1]– عزيز السيد جاسم، تأملات في الحضارة والإغتراب، ص 146.

*– أهم أعلامها: برديائيف وغبريال مارسيل وكاريسبرز وبوبر.

**– أهم روادها: هيدجر، سارتر، سيمون دي بوفوار كامو.

[2]–إبراهيم محمود، حول الإغتراب الكافكاوي ورواية المسخ نموذجًا، مجلة عالم الفكر، ص 84.

رأى ماركس وعلماء النّفس أنّ الإغتراب ظاهرة عرضية تنشأ في ظروف نفسية واِجتماعية وفي أوضاع اِقتصادية يمكن تجاوزها»[1]، بتغيير هذه الظروف وبإختلاف هذه الأوضاع، في حين ترى الوجودية عكس ذلك، لأنّ الإغتراب مرتبط بطبيعة خلق الحياة لا بجوهر الوجود العيني والمبدأ، الذي تقوم عليه هذه الفلسفة تتمثل في أسبقية الوجود للماهية، حيث يرى جون بول سارتر (Jean Paul Sartre) «أنّ الإنسان بوجوده أوّلا وقبل كلّ شيء، ويواجه نفسه، وينخرط في العالم، ثمّ يعرف نفسه فيما بعد»[2].

وكان هذا القانون متحكّمًا في طريقة نظرتهم للكون والحياة، ويضيف قائلا: «كل حيّ يولد بلا مبرّر، ويستمر عن ضعف، ويموت مصادفة، وهكذا يكوّن الإنسان شهوة لا جدوى منها»[3]. نستكشف من هذه المقولة النظرة العدمية للفيلسوف الوجودي في فهمه لوجود الإنسان الضائع في هذه الحياة. وقد تتلمذ سارتر على يدي (هايدجر)، وتأثّر بأفكاره، فهو ينظر إلى الوجود على أنّه «ينبثق منه العدم، والإنسان كائن مُلقى في العالم، ولا شيء أكيد في مصيره سوى الموت»[4]. ويفسّر سارتر الإغتراب بإنعدام الحرية الإنسانية، حيث أنّ الفرد يُحرم من ذاته الحقيقية ويغترب عنها بخضوعه لسيطرة الآخرين، بمعنى أنّ الفرد يكون مستلبًا ومجبرًا على تقبّل المعايير والقيم السائدة في المجتمع، وإن كان غير مقتنع بها رافضًا لها، فـ «الإنسان يعيش منذ صغره هذا الصّراع مع الذّات، لأنّ الإنسان يفرض عليه نموذج الإنسان الإجتماعي الذي سيكون عليه في المستقبل، وهذا الوضع قد يتقبله أو يرفضه»[5]، والرّفض بمعناه الواسع الثورة والتمرّد على الواقع.

---

[1]– يُنظر: كاميليا عبد الفتاح، الشعر العربي القديم، ص 10–11.

[2]– جون ماكوري، الوجودية، ترجمة: إماما عبد الفتاح إمام، مراجعة: فؤاد زكريا، المجلس الوطني للفنون والآداب والثقافة الكويت، 1982.

[3]– Jean Paul Sarter, La musée, édition Gallimard, Paris, 1938.

[4]– سالم بيطار، اِغتراب الإنسان وحريته، ص 79.

[5]– فريدة غيوة حيرش، من الوجود الرائف إلى الوجود الأصيل، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، دت، ص 238..

فالوجودي يفهم الإغتراب على أنّه «اِغتراب الموجود البشري عن وُجُوده العميق، بحيث لا يكون ذاته وإنّما مجرد صفر على الشمال في الوجود الجمعي للجماهير»[1].

ومن هذا المنطلق كان الوجود بين الآخرين وجودًا مزيفًا والعلاقات الإجتماعية مشوهة فالأخر إذن مصدر اِغتراب بالنسبة للوجوديين، فبالنسبة (لهايدجر) «يعني الغير، السقوط في معترك الحياة العامة التي يعيشها بقيّة النّاس، ومن هنا يصعب عليها أن تمارس حياتها الذّاتية التي تخصّها، فضلا عن خضوعها للمقاييس التي يخضع لها النّاس في مجموعتهم»[2].

وتؤكد هذه النظرة مقولة سارتر بأنّ الغير هو الجحيم[3].

فنظرته على الآخر تشاؤمية يقول: «الغير هو الموت المستور لإمكاناتي» «وسقوطي هو وجود الغير»[4]، فهذا الوجود بين الغير، أي التواجد مع الأخر في المجتمع وبالنسبة للوجودي هو وجود زائف ومشوّه، أمّا الوجود الأصل فهو «ذاك الوجود الذي لا تقرّره علاقات المرء بالأخرين، وإنّما تحدّده قرارات المرء وخياراته»[5].

وهذه دعوة لقهر الإغتراب عن طريق مقاومة نظرة الغير إلى هذه النظرة التي تجعل الإنسان يستسلم للغير ويفقد حريته، فالخلاص يكون بمعرفته لذاته عن طريق البحث عنها إذن «الوحدة مع الغير غير قابلة للتحقيق»[6] في نظره.

ومن خلال ما سبق يمكن أن نلخص الإغتراب عند الوجوديين في ثلاثة أنواع هي:

أوّلاً: الإغتراب عن العالم وعن الآخرين.

ثانيًا: الإغتراب عن الذّات.

---

[1]– جون ماكوري، الوجودية، ص 225.

[2]– عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ص 22.

[3]– ينظر: جون ماكوري، الوجودية، ص 152، وينظر: جون بول سارتر، الجحيم، تر: طارق فودة، دار الثقافة، د.ت ص 98.

[4]– نقلا عن: عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجهلي، ص 23.

[5]– شاخت، الاغتراب، ص 263.

[6]– جون بول سارتر، الوجود والعدم، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، منشورات دار الآداب، بيروت، ط1996، ص 590.

ثالثًا: الإغتراب عن الله عند الوجودية المؤمنة.

علمًا أنّ أنواع الإغتراب هذه متداخلة فيما بينها في كتابات الوجودين ومثبوتة في مجمل مؤلفاتهم[1]، ومن النتائج الشعورية لهذه الفلسفة التي تقوم على اللاّعقلانية العبث وهو «الشعور باستقصاء ظاهر الكون على منطق العقل الإنساني أو تصادمه مع قوانين هذا العقل المحدود معرفيًا»[2].

بالإضافة إلى مشاعر الألم واليأس والقلق والتمرد الوجودي، وهو «أحد وسائل مقاومة الوجود الزائف أو الوجود المغترب»[3]. وهو تمرّد إيجابي يلجأ إليه المغترب كمحاولة لقهر اِغترابه عن طريق عملية الإبداع والخلق الفنّي، حيث يخلق عالمًا آخر يطمح إليه يستعيض به عن واقعه المرير وقد لخصّ الوجوديين مصادر العبث في أربع طرائق مختلفة:

أوّلاً: الطبيعة الآلية لحياة العديد من الأفراد، وثانيا: يستمد العبث مصدره الثّاني من الإحساس الحاد بمرور الزّمن، ثالثًا: من الإحساس بالإنعزال في عالم الإغتراب الذي يشعر به النّاس بدرجات متفاوتة، وأخيرًا يمكننا معاناة العبث عن طريق الإحساس الحاد بإنعزاله جوهريًا عن غيرنا من بني الإنسان[4].

هكذا تتبعا لتطور مفهوم مصطلح الإغتراب في التصوّر الغربي، وفيما يلي من صفحات سنتعرف على معناه في الفكر العربي.

2- التصوّر العربي:

إنّ موضوع الاغتراب «من المواضيع التي عبّر عنها القرآن الكريم، إذ حملت آيات من الذكر الحكيم معنى اِغتراب الإنسان عن الله، واِغتراب الإنسان عن الإنسان، فخروج آدم من

---

[1]- سميرة سلامي، الاغتراب في الشعر العباسي في القرن الرابع الهجري، ص 50.

[2]- كاميليا عبد الفتاح، الشعر العربي القديم، ص 15.

[3]- المرجع نفسه، ص 16.

[4]- ينظر: جون كرونشانك، ألبير كامي وأدب التمرد، ترجمة: جلال العشير، الهيئة المصرية العامة للكتابة، 1986 ص 88.

الجنة وهبوطه إلى الأرض كان أوّل اِغتراب له، ومحبة الإنسان من الشيطان كان اِغترابًا آخر»[1].

فالإنسان إذن اِغترب عن ربّه عندما عماه فخرج من نعيم الجنّة واِغترب في أرض موحشة ومن كرم الله عز وجل أن كان هذا الإغتراب في حدود المكان، حيث أنّه قبل توبة آدم عليه السلام بعد ما عصاه، وبعد أن كادت مشاعر اليأس والحزن والخوف والقلق والألم تستولي عليه «فَتَلَقَى ءَادَمُ من رَبِّهِ كَلِمَتٍ فتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التّوابُ الْرَحِيمُ»37. (سورة البقرة، الآية 37) وبذلك خفّت مشاعر الغربة، لأنّ الإنسان كلما اِقترب من الله اِزداد اِيمانه واِطمأنّ قلبه مصداقًا لقوله تعالى: «الْذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُ قُلُوبهُمْ بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُ القُلُوبُ». (سورة الرعد، الآية 28) وكان الأنبياء سلام الله عليهم ممن أدركتهم الغربة وهم يَحْمِلون الرسالة التي كلّفهم الله تعالى بنشرها، فقد خرج سيدنا موسى «من مصر هاربًا من ظلم فرعون وقومه، وناجى ربه»[2]. قائلاً: «يا رب إني وحيد مريض غريب....» «فَنَادَاهُ رَبَهُ: يا موسى الوحيد من ليس له مثلي أنيس والمريض من ليس به مثلي طبيب، والغريب من ليس بيني وبينه معاملة»[3].

وهذا ما يؤكّد المعنى السابق من أنّ قهر الإغتراب ومشاعر اليأس والقلق والألم والتشاؤم لن يكون إلا بقرب الإنسان من الله.

كما عاش الرسول صلى عليه وسلم الغربة في وطنه مكّة، حيث تعرض لِاستنكار أهل وطنه ومحاربته، لأنّه جاء بالهدايّة الصحيحة التي تخالف معتقداتهم وشركهم وكفرهم باللّه فخرج من مكّة إلى الطائف مجتنبًا اِضطهادهم، وعندما اِشتدّ به الألم توجّه إلى ربّه بدعائه الذي يفيض بمشاعر الغربة والآلام والحزن والإيمان: «اللّهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلّة حيلتي

[1]– عادل الأولمبي، الإغتراب والعبقرية، ص 03.

[2]– المرجع نفسه، ص 04.

[3]– اِبن القيم الجوزية، مدارج السالكين، تحقيق: رضوان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص 72– 73.

وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدوّ ملكته أمري؟»[1].

كما ورد مصطلح الإغتراب في عدد من الأحاديث النبوية الشريفة، التي فيها اِمتداح لغربة أهل الإسلام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم في وصف اِغتراب الإسلام والمسلمين: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا، فطوبى للغرباء»[2].

لقد كان الإسلام غريبًا لأنّه لم يلاق الإقبال والنصرة في أول عهده، حيث وقف الأهل والأقارب ضدّ المسلمين الذين اِعتنقوه وكان عددهم قليلاً، فعانوا من الاضطهاد والتنكر ولكنهم كانوا صابرين محتسبين وأخرجوا من ديارهم فإزداد غربة على غربة، فصدق قول الله تعالى: «الّذينَ أُخْرِجُوا من دِيارِهِمْ بْغَيرِ حَقٍّ إلاَ أن يقولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلاَ دَفَعُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وبَيعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسْجِدُ يُذْكرُ فِيهَا...». (سورة الحج، الآية 40). وسيعود الإسلام غريبًا بمعنى أنه في آخر الزّمان قلة من النّاس فقط من ستظل متشبثة بتعاليمه مما يجعل هؤلاء غرباء في مجتمعاتهم، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «هم الذين يزيدون إذا نقص النّاس»[3]، ويفسّر اِبن قيم جوزية معنى الزيادة في الحديث النبوي الشريف: «بالزّيادة في الخير والإيمان واِلتُقى إذا أنقص النّاس من ذلك»[4].

فوجه الغربة مُنْطَلَقَهُ من أفعالهم الخيّرة، التي تعد غريبة في مجتمع تهالكت قيمه واِبتعد النّاس فيه عن سواء السبيل إلا القلّة منهم.

كما يدعوا الدّين الإسلامي النّاس إلى الغربة بمعناها الإيجابي، حيث أنّه يحضهم على اِعتبار الدّنيا محطة عبور إلى دار البقاء الدار الآخرة وأن لا يتشبثوا بالدنيا ويجعلوها وطنا لهم قال لله تعالى: «يا قومِ إنّما هذه الحياة الدّنيا مَتَاعٌ وإنّ الآخرة هي دارُ القرار»(39). (سورة

[1]– محمد ناصر الدين الألباني، ضعيف الجامع، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، الإسكندرية، مصر، ص 08 .54

[2]– أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشري النيسابوري، الصحيح، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص 10–90.

[3]– اِبن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ص 2، 369.

[4]– المرجع نفسه، ص 02– 369.

غافر، الآية 39). وفي الحديث النّبوي الشريف تأكيد لهذا المعنى: «كن في الدنيا كأنك غريب: أو عابر سبيل»[1]، وهكذا فإنّ الإنسان الذي يتمسك بتعاليم الدّين الصحيح ويبتعد عن شهوات الدّنيا ولا تغره بزينتها يشعر أنّه غريب فيها يحنّ دائمًا إلى وطنه الأصلي (الدّار الأخرة، في حين أنّ الذين يغترون بها ويتمسكون بملذاتها «لا يشعرون بالإغتراب في الدنيا بل يستوحشون من تركها وترك ملذّاتها»[2].

وقد كان المفكرون والفلاسفة العرب أيضًا من أشد النّاس معاناة لمختلف ضروب الإغتراب والعزلة في حياتهم، فالفرابي مثلاً كان «منفردًا بنفسه، لا يجالس النّاس، (...) وكان أزهد النّاس في الدنيا، لا يحتفل بأمر مكسب ولا مسكن، وأجرى عليه سيف الدولة كل يوم من بيت المال أربعة دارهم وهو الذي اِقتصر عليها لقناعته»[3]، فإجتناب النّاس واِعتزال الحياة هو أحد النتائج الشعورية لظاهرة الإغتراب «وهذه الصّورة التي تنقل لنا عن الفارابي تعلّل لنا السبب الكامن وراء تأليفه المدينة الفاضلة، فهي لون من الهرب من الواقع، ملائم جدًا لعزلته، فمدينته حلم طوباوي بمدينة حكماء مستقبلية، طالما روّاد الفلاسفة منذ أفلاطون في جمهورية إلى عصور قريبة»[4].

نستنتج من خلال ذلك أنّه لم يكن راضيًا عن واقعه المعيش، واِغترابه نابع من تجربته الحياتية، والأمر كذلك بالنسبة لأبي حيان التوحيدي الذي ورد عنده المعنى الشامل للغربة ببُعدَيْهَا المادي والمعنوي، حيث يقول: «فأين أنت من غريب قد طالت غربته في وطنه وقلّ حَظَهُ ونَصِيبه من حَبيبه وسكنه؟ وأين أنت من غريب لا سبيل له إلى الأوطان ولا طاقة به على الإستيطان»[5].

---

[1]– محمد بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح اِبن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت 1993، ط2، ص 2، 741.

[2]– سميرة سلامي، الإغتراب في الشعر العباسي، القرن 04هـ، ص 24.

[3]– اِبن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، 1972، ص 5، 156.

[4]– رامل صالح، تحول المثال، ص 17– 18.

[5]– أبو حيان التوحيدي، الإشارات الإلهية، تح: عبد الرحمان بدوي، دار العلم، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ص 79.

لقد كان أبو حيان التوحيدي مثالاً للمثقف المغترب في مجتمعه، الذي خاب أمله ورجاؤه فيه فهو «لم يحظ بالمكانة المرموقة التي تليق بمنزلته، ولذلك اِستوحشت حياته، وعاش غريبًا في مجتمعه»[1]، فأحرق كتبه، فهذه النهاية المأساوية اِحتجاج منه على وطنه الذي لم يوفّر له الحياة الكريمة، بل ذاق فيه ألوان الفقر والحاجة والعجز الذي زاده من مشاعر الغربة لديه فكان أغرب الغرباء: «وأغرب الغرباء من صار غريبًا في وطنه، وأبعد البعداء من كان بعيدًا في محل قربه»[2]، فالتوحيدي لم يعرف في وطنه إلاّ الخوف والشقاء.

كذلك نجد إبن باجة الفيلسوف الذي عاش في عصر أبرز سماته الضعف والإنقسام اللذين أثرا على حرية البحث، حيث أضطهد الفلاسفة وأحرقت كتبهم، كما عرف اِبن باجة الإغتراب بمختلف ضروبه و«اِقْتَفَى أثر فيلسوف المشرق الفارابي، فأحب العزلة، وأراد أن يعيش مغتربا عن النّاس، فقد ضاق ذرعًا بالحياة، كانت غربته روحية، فلسفية وعقلية، وأكثر ظننا أن اِغترابه كان بالنسبة إليه مصدر إمتاع ومؤانسة»[3]، حيث كان اِعتزال النّاس والمجتمع هو سبيل المرء الوحيد للعيش الأمثل وسيلته حتى يحي كما ينبغي ويسمي اِبن باجة في كتابه تدبير المتوحد المغتربين بـ "النوابت" وهم أولئك الذين حملوا معتقدًا مخالفًا لم يكن معروف بين النّاس أو خالفوا المجموع في الآراء.

يعرّف اِبن باجة النوابت بقوله: «إنّ النوابت هم من لم يجتمع على رأيهم أمة أو مدينة وهؤلاء هم الأغراب الذين غادروا أوطانهم، وظلوا هناك غرباء في عاداتهم وآراءهم وأفكارهم»[4].

فإختلاف هؤلاء الأشخاص في رؤيتهم وإيمانهم بأفكار وعادات، غير تلك السائدة في مجتمعاتهم جعلهم مغتربين، وذلك عندما اِضطروا لمغادرة أوطانهم، فهم لم يعودوا يشعرون فيها بالإنسجام والتوافق، وتتوضح في مؤلفه رسائل اِبن باجة الإلهية آراؤه في الإغتراب من الوجهة

[1]- ينظر: بنعلي قريش، الإغتراب في الشعر العربي الحديث (1920-1945)، ص 11.

[2]- أبو حيان التوحيدي، الإشارات الإلهية، ص 80-81.

[3]- عادل الألوسي، العبقرية والاغتراب، ص 59.

[4]- اِبن باجة، تدبير المتوحد، تحقيق: ماجد فخري، بيروت، لبنان، 1968، ص 88.

الفلسفية، حيث يقول عن النوابت: «هؤلاء الذين يعنيهم الصوفية بقولهم غرباء، لأنّهم وإن كانوا في أوطانهم وبين أترابهم وخلاّنهم غرباء في آرائهم وقد سافروا بأفكارهم إلى مراتب أخرى هي لهم كالأوطان»[1].

فاِتخذ هؤلاء المغتربون من أفكارهم وطنًا لهم عوضًا من وطنهم الأصلي أو الحقيقي.

كما نجد اِبن طفيل يجسّد اِغتراب الإنسان في قصته حي بن يقظان وذوبان هذه الغربة بالطبيعة فيصوّر «تخطيه هذه الغربة ليلتحم بالطبيعة، فتكون الطبيعة وما فيها من حيوان ونبات أهلاً له، حتى يتطوّر وتنمو مداركه ويصل إلى الكلام، ومن ثمّ يسمو إلى الحقيقة التي أوّلها معرفة الله»[2]، وبذلك يبلغ أهل التصوُف من مراتب المشاهدة والفناء بحب الله.

وقد اِستخدم متصوفة الإسلام مصطلح الاغتراب وهو عندهم «ظاهرة إيجابية، لأنّهم وجدوا فيه الطمأنينة والسكينة وراحة القلب، ولذلك كانوا حريصين على التقرب إلى الله فلم يحنوا إلى سواه، فلم يطلبوا حاجة عند غيره»[3]، والصوفية مغتربون عند ذواتهم وعن مجتمعاتهم فغربتهم روحية وهم يفنون ذواتهم للوصول إلى الذّات الإلهية، ومن هنا اِختلف اِغتراب الصوفية عن اِغتراب غيرهم، لأنّهم على العكس من المغتربين الأخرين لا يعانون من العذاب والألم واليأس والقلق، التي هي من أهم النتائج الشّعورية لهذه الظّاهرة، فهم مستأنسون بوحدتهم وهي سبيلهم للوصول إلى الله. فهم يجدون فيها راحة بالهم وسكون أنفسهم وطمأنينتها ويتجنبون بها الحياة ودناءتها ودناستها وزينتها وغرورها.

ومن هؤلاء المتصوفة ابن عربي الذي يغلب عليه «الشعور بالغربة الكونية لدرجة تجعلنا نستكشف معها نزعة عدمية، قوامها الهرب من هذا الوجود الحسي الأرضي بوصفه غريبًا

[1]– اِبن باجة، رسائل اِبن باجة الإلهية، بيروت، لبنان، د.ت، ص 90، نقلا عن زامل صالح، تحول المثال.

[2]– عادل الألوسي، الإغتراب والعبقرية، ص 63.

[3]– بنعلي قريش، الإغتراب في الشعر العربي الحديث (1920– 1945)، ص 13.

وغير أصيل، وذلك بالرجوع إلى الله والفنّاء فيه بوصفه الوجود الحق، أو على حدّ تعبير الصوفية الوطن الأصلي»[1].

فيبلغ الصوفي قمة السعادة في وحدته، ويعبّر عن هذا الشعور إبراهيم اِبن أدهم الزاهد المتصوف بقوله:

هجرت الخلق طرًّا في هواكا وأَيْتَمْتُ العيال لكي أراكا

فلو قَطعتَني في الحدِّ إربًا لما حن الفؤاد إلى سواكا[2]

وتضيف رابعة العدوية قائلة:

راحتي يا إخوتي في خلوتي وحَبِيبِي دائمًا في حَضْرتِي

قد هجرتُ الخلقَ جمعًا أرتجي منك وصلاً فهو أقصى منْيتي[3]

فهي لا تجد الأنس والرّاحة إلا في اِعتزال النّاس والإنصراف إلى مناجاة الله، والعزلة إحدى مظاهر اِغتراب الصوفي.

وعندما تقارن علاقتها مع النّاس بحبها الإلهي رفيع تقول:

إنّي جعلتك في الفؤادِ محدّثي وأبَحْتُ جسمي من أراد جلوسي

الجسم منّي للجليس مؤانِسُ وحبيبُ قلبي في الفؤاد أنيسي[4]

فهي حاضرة بالجسم مع من يجالسها من الناس، ومشغولة الفكر شاردة العقل والقلب لأنّهما منصرفان إلى ذكر الله.

وقد اِنتشر الإغتراب الصوفي بكثرة في العصر العباسي، حيث فَسُدت الأخلاق وضعف الإيمان، فإنتشرت الرذائل وأخش أولئك المتصفون بإترابهم في هذا الزمان وطلبوا العزلة اِتقاء أن

[1]– صالح زامل، تحول المثال، ص 21.

[2]– نقلا: عن اِبن رجب الحنبلي، كشف الكربة في وصف أهل الربة، مطبعة النهضة الأدبية، ط1، 1332هـ، ص 27.

[3]– عبد الرحمان بدوي، رابعة العدوية شهيدة العشق الإلهي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1962، ص 163.

[4]– المرجع نفسه، ص 182.

يصابوا بأمراض ذلك العصر، محاولين الحفاظ على جوهر النفس ووجدوا هذا الأمر في قربهم من الله.

ثالثا: الإغتراب مظاهره وأسبابه وأشكاله.

تعد ظاهرة الإغتراب ظاهرة قديمة حديثة، فالإنسان عرف بالاغتراب منذ خلقه، ذلك أنّ سيدنا آدم اغترب عن الجنة موطنه الأصلي ونزل إلى الأرض ليعاني فيها، وظلّ الإنسان كذلك مع مرور الزّمن وصولاً إلى وقتنا الحاضر، حيث اختلفت مظاهر ذلك الإغتراب وأسبابه وأشكاله تبعًا لتطور الحياة والتعقيدات التي عرفتها الحضارة الإنسانية فأصبحت تلك الظاهرة أشدّ أثرًا على الإنسان حيث تسبّبت في اضطرابه وتشتته.

وسنحاول فيما يلي التعرض لمظاهر الاغتراب كما وردت لدى بعض علماء النّفس والاجتماع.

1-مظاهر الاغتراب:

للغربة أبعاد ومظاهر ذكرها علماء النفس، والإجتماع، وقد أجملت في خمسة مظاهر أساسية هي: العجز، واللامعنى، واللامعيارية، والعزلة الاجتماعية والاغتراب عن الذّات.

أ-العجز Powerlessness:

فأمّا العجز فهو: «شعور الفرد بأن لا حول له ولا قوة، ولا يستطيع التأثير في المواقف الاجتماعية التي يواجهها، ويعجز عن السيطرة على تصرفاته وأفعاله ورغباته، ولا يستطيع أن يقرر مصيره، ومن ثم يعجز عن تحقيق ذاته أو يشعر بحالة من الاستسلام والخنوع . والعجز هو توقع الفرد بأنه لا يمك القدرة على التحكم وممارسة الضبط، لأنّ الأشياء حوله تسيطر عليها

الظروف خارجية أقوى منه، ويتولد لديه شعور بالعجز والإحباط وخيبة الأمل في إمكانية التغيير»[1].

ب- اللامعنى Meaning lessness:

وأما اللامعنى أو فقدان المعنى فهو: « توقع الفرد أنه لن يستطيع التنبؤ بدرجة عالية من الكفاءة بالنتائج المستقبلية للسلوك، كما يقول (سيمان Seeman)، فالفرد يغترب عندما لا يكون واضحًا لديه ما يجب أن يؤمن به أو يثق فيه، ولذلك يرى الإنسان المغترب أن الحياة لا معنى لها، لأنّها تسير وفق منطق غير مفهوم وغير معقول ومن ثم يعيش حياة التفاهة اللامبالاة»[2]. يعني هذا المفهوم أن تصبح حياة الفرد بلا معنى أو بلا هدف، يعيش في الحياة عبثا لا جدوى منها، وبالتالي يتولده الشعور اللامبالاة وتفاهة الحياة.

ج- اللامعيارية Normlessness:

وتسمى (الأنوميا)، وهي حالة تصيب المجتمع، أي حالة إنهيار المعايير التي تنظم السلوك وتوجهه، وهي كما يقول (سيمان): «الحالة التي يتوقع فيها الفرد بدرجة كبيرة، أن أشكال السلوك مرفوضة اجتماعيًا، غدت مقبولة تجاه أية أهداف محددة، أي الأشياء لم يعد لها أية ضوابط معيارية»[3].

تشير اللامعيارية أيضًا إلى: « عدم تمسك الفرد بالقيم والمعايير الأخلاقية السائدة في المجتمع، وشعور الفرد أنّ إستخدام الوسائل غير المشروعة أمر ضروري لتحقيق أهدافه»[4].

---

[1]- يحي الجبوري، الحنين والعبارة في الشعر العربي، الحنين إلى الأوطان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ط1، 2008، ص 18.

[2]- المرجع نفسه، ص 18.

[3]- المرجع نفسه، ص 18- 19.

[4]- سعد عبد المطلب العضار، الأفكار اللاعقلانية وعلاقتها بالانسحاب والاغتراب لدى الأطفال المكفوفين بالحلقة الأولى من التعليم الأساسي، كلية التربية للطفولة المبكرة جامعة المنصور، 2006، ص 23.

د- العزلة الاجتماعية Social isolation:

ويراد بها «شعور الفرد بالوحدة والفراغ النفسي، والإفتقاد إلى الأمن والعلاقات الإجتماعية الحميمة والبعد عن الآخرين حتى وإن وجد بينهم، ويصاحب العزلة الشعور بالرّفض الاجتماعي والانعزال عن أهدافه الثقافية للمجتمع، والانفصال بين أهداف الفرد وبين قيم المجتمع ومعاييره»[1].

يتبين من خلال هذين المفهومين أنّ اللامعيارية تشير إلى إنعدام المعايير لدى الشّخص المغترب، فهو يرفض إتباع العادات والقوانين والمفاهيم والأفكار والقيم السائدة في مجتمعه والتي تحكمه بعينة تنظيمية، فهو يتمرّد عليها ويتجاوزها ليتبع ما يعتقده هو من أفكار ومبادئ تناسبه فنجده يلجأ إلى تحقيق مراده بإتباع طرق غير مشروعة ومحرمة في مجتمع.

هـ- التمرد:

«وهو شعور الفرد بالبعد عن الواقع ومحتوياته، والخروج عن المألوف والشائع، وعدم الإنصياع إلى العادات والتقاليد السائدة والرفض والكراهية والعداء يحيط به في الواقع»[2].

والمقصود هنا من كلمة التمرد هو خروج الفرد عن كل العادات والتقاليد السائدة في المجتمع، وعدم تقيده أو العمل بها، ورفضه لكلّ ما يحيط به في الواقع لأنّها نظرة مجرّد قيود تحيز حرّيته وتمنعه من الانطلاق لتحقيق أحلامه.

و- الاغتراب عن الذّات Self estrongement:

ويراد به عدم قدرة الفرد على التواصل مع نفسه، وشعوره بالانفصال عما يرغب في أن يكون عليه، حيث تسير حياة الفرد بلا هدف، ويشعر بالاغتراب عندما لا يستطيع التحكم

[1]- يحي الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، الحنين إلى الأوطان، ص 19.

[2]- أسماء ريحى العرب، علاء زهير الجواد الرواشدة، الاغتراب الإجتماعي لدى الشباب في عصر العولمة، المجلة الأردنية للعلوم الإجتماعية، ع02، 2016، ص 225.

بأفعاله، ويكون سلبيًا عندما يستسلم لأفعاله ونتائجها، يشعر أن لا معنى لحياته كما يشعر بإغترابه من ذاته»[1].

ندرك من خلال ما سبق أن الإغتراب عن الذات هو عدم قدرة الفرد على الانسجام مع ذاته وتحقيق أهدافه، وذلك يحدث عند ما يكون غير قادر على التحكم في تصرفاته وسلوكياته فيقع في العبث فيشعر أنّه لا معنى لحياته لأنه يسير بلا هدف ولا وجهة فيفقد القدرة على التكيف الداخلي ويفقد ثقته بقدراته ليستسلم بشكل سلبي لأفعاله ونتائجها الخطيرة.

2- أسباب الإغتراب:

تتعدد أسباب الإغتراب وتختلف بإختلاف جذورها وأنواعها وفيما يلي ذكر بمجموعة منها:

أ- الأسباب السياسية:

«إنّ السلوك الرئيسي من هذه السلوكات هو القمع السياسي الذي تنتجه السلطة (الدكتاتورية) خاصة ضد المثقف الذي يشكل الخطر الرئيسي على وجودها، لأنّه الوعي الحقيقي المناقض لعماء السلطة وعماء، (دكتاتوريتها)»[2].

أي إنّها تخاف من المثقف كونه إنسانا واعيا، فهو يشكل خطر عليها لأنه الوحيد القادر على فضح تجاوزاتها وبتلك يكون خطر في زعزعتها وسقوطها وإنهيارها.

ب- الأسباب الاجتماعية:

يمكن أن نستخلص المسببات الاجتماعية في نقاط أهمها:

1- «تأثر اهتمام فرديناند تونيز في تحليله لظاهرة الاغتراب برؤيته لعوامل الحط من قدر الانسان، وإهدار فرديته في المجتمع الحديث»[3].

---

[1]- يحي الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، الحنين إلى الأوطان، ص 19.

[2]- سليمان حسين، مضمرات النص والخطاب، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، دط، 1999، ص 228.

[3]- وليد الصديق ميلود، الإغتراب السياسي في الوسط الطلابي، مركز الكتاب لأكاديمي، عمان، ط1، 2015، ص 46.

2- «إهتمامه بالمجتمع الكبير من نمو للإرادة الجديدة في مقابل تقلص روابطه ونموه اللاشخصي وغياب الإرادة التلقائية، والإنشطار من الوسائل والغايات.

3- المكافآت الاجتماعية في بنائهم الاجتماعي، والذي قد يصيرون مغتربون عن ذلك البناء ويتكيفون مع نمط التمرد والثورة»[1].

4- الإغتراب في المجتمع إنه انفصال الانسان عن روابطه التقليدية، وغياب المعرفة التي كانت توفر له الإرادة الطبيعية، في حين تتجسم المشكلة في النمو الفردية وتمركز الفرد حول الذات وتحول كل شيء بحيث تصير مجرد وسيلة للغاية»[2].

5- التخلف الاجتماعي الذي تفرضه مجموعة من القيم الثابتة (بالمفهوم السلبي) مجموعة أخرى من القيم السلبية لتمارس ضغطها باتجاه التراجع أو باتجاه السكون والمحافظة وهذه القيم تشكل ضغطا ضد التقدم الذي تطمح الذات الإنسانية إلى تحقيقه في سعيها الحثيث إلى الأمام[3].

فالإغتراب الاجتماعي يتعلق بعدم تقيد الفرد بالعلاقات الاجتماعية من التفاعل، والتكامل والقيم والأخلاق والثقافة من العادات والتقاليد، إلى درجة الابتعاد، ونفور والعزلة فالمجتمع لم يوفر له حجاته الاجتماعية، ولم يحس بالأمن والإطمئنان معه، ولم يلبي طموحه وأحلامه.

ج- الأسباب النفسية: وتتمثل في ثلاثة نقاط وهي:

1- «الصّراع: ويكون بين الدوافع والرغبات المتعارضة مما يؤدى إلى التوتر الإنفعالي والقلق واضطراب الشخصية.

2- الإحباط: يرتبط الإحباط بالشعور بخيبة الأمل و الفشل والعجز التام والشعور بالقهر وتحقير الذات.

---

[1]- وليد الصديق ميلود، الإغتراب السياسي في الوسط الطلابي، ص 46.

[2]- المرجع نفسه، ص 45.

[3]- سليمان حسين، مضمرات النص والخطاب، ص 228.

3- الحرمان: حيث تمثل الفرصة لتحقيق دوافع أو إشباع الحاجات، كما في حالة الحرمان من الرعاية الوالدية والاجتماعية[1].

نفهم هنا أن الأسباب النّفسية تتشكل من الصّراع، والإحباط والحرمان، حيث يشعر الفرد من فقدان ثقته بنفسه، ويعجز عن قيام بعمل ما، وكل هذا يساهم في إصابته بالعقد والأمراض النفسية، مما يستدعي اللجوء إلى أخصائيين نفسانيين للتخلص من هذه العقدة.

3- أشكال الاغتراب:

أثار مصطلح الإغتراب جدلاً واسعًا بين الباحثين وذلك بسبب غموضه، إذ لم يتم ضبطه وتحديد بنيته حيث تتنوع المفاهيم والدّلالات التي يتقمصها وكذلك تتنوّع أشكاله السياسية والاجتماعية والنفسية:

أ- الإغتراب السياسي:

هو شعور الفرد بالعجز إزاء المشاركة الإيجابية في الإنتخابات السياسية المعبرة بصدق عن رأي الجماهير، وكذلك الشعور بالعزلة عن المشاركة الحقيقية الفعالة عن صنع للقرارات المصيرية المتعلقة بمصالحة واليأس من المستقبل على إعتبار أن رأيه لا يسمعه أحد، وإن سمعه لا يهتم به ولا يأخذ به»[2].

نستخلص من هذا التّعريف أنّ الفرد لا يشعر بفعاليته كمواطن قادر على المشاركة الفعالة في تسيير شؤون الوطن، ذلك أنّه مهمش من قبل السلطة، فهي لا تعير أفكاره الإهتمام المطلوب بل تحرمه من حقوقه السياسية بتحديده عن صنع للقرارات المصيرية وتنفرد الطبقة السياسية بالتسيير، وهو ما يولد شعوره بالانفصال عن الدّولة.

---

[1]- وليد الصديق ميلود، الاغتراب السياسي في الوسط الطلابي، ص 71.

[2]- عبد اللطيف محمد ورقة، دراسات في سيكولوجية الإغتراب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2002 ص 97.

ويعرفه مشيل فوكو: «شعور الفرد بالإغتراب إزاء الوضع السياسي السائد في بلده والممارسات الاجتماعية التي تجري في مجتمعه ذلك أن مجموعة في مجتمع ما هي ممارسة إيديولوجية في الأساس، فسلوك الشرائح الإجتماعية مدفوع بمفاهيم وأفكار وقناعات متجسمة في الجسم الاجتماعي ككل، ففيها نتأكد مشروعية الأطروحات والمطالبات، وهي في الحقيقة مدار كل نقاش سياسي وكل صراع إجتماعي[1].

يناقش ميشال فوكو فكرة إغتراب الفرد أو رفضه للوضع السياسي نتيجة لممارسات السلطة السياسية التي تتواغى في خدمته وتحقيق مطالبه المشروعة ما قد يتسبب في صراع سياسي وثورة داخلية.

فالإغتراب السياسي «لا يقصد به أن يغترب الإنسان عن وطنه مدفوعا بدوافع سياسية أو إجتماعية مؤقتة، لكن الأخطر من ذلك أن يعيش غريبًا في وطنه يكابد ويعاني دون أن يكون له رأى مسموع أو طلب مجاب أو إطمئنان إلى النظام الحاكم في بلده»[2]. إن خلق فجوة عميقة بينه وبين الطبقة السياسية أو الطبقة الحاكمة التي تحرمه من عمل واجباته السياسية ككيان رئيسي وطني فعال في السباحة السياسية وبذلك يحس بعدم الإنتماء لوطنه.

كما نجد مفهوم الاغتراب السياسي على أنه فكرة فاعلية خاصة في المجال السياسي بمعنى «شعور الفرد بمدى قدرته على التأثير في مجريات العملية السياسية، فالأفراد الذين لا يحصلون على مكاسب من الأنظمة المسؤولة في جوانب التعليم والعمل والدخل والوظائف يكونون أكثر عرضة للاغتراب السياسي، لذلك يدفعهم إغترابهم إلى عدم الإشتراك في جوانب الحياة المختلفة كالإنتخابات والمؤتمرات والندوات»[3]. إنّ الإغتراب السياسي له علاقة بالأفراد الدين يحرمون من حقوقهم الطبيعية في مجال التعليم، الصحة، والوظيفة، الأمر الذي يجملهم

[1]– ميشل فوكو، نظام الخطاب، تر: محمد سبيلا، دار التنوير، ص 01– 82.

[2]– عمر بوغرورة، الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث، منشورات جامعة باتنة، د.ط، د.ت، ص 17.

[3]– إقبال محمد رشيد صالح الحمداني، الإغتراب، التمرد، قلق المستقبل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1 2011، ص 136.

يفقدون الثقة في السلطة السياسية ووعودها الكاذبة، فيتخلون عن المشاركة في كل ما له علاقة بالجانب السياسي كالإنتخابات مثلا.

يرى جواد زهير الرواشدة إن الإغتراب السياسي ناجم عن التهميش الذي تمارسه السلطة الحاكمة في الجماعات التي «يتحدّد موقعها الطبقي خارج أسلوب الإنتاج المعتمد في المجتمع وهي تعيش على الإرتزاق بقوت اليوم، وإذا أضفنا إلى الهامشين العاطلين عن العمل، تتخيّل حكم القوة التي تتميز عمر بإغترابها التام من النظام الاجتماعى القائم، واستهانتها الشديدة بإمكانيات التغيير وميلها الدائم إلى العنف، فأمام اتساع دائرة الجماعات الهامشية، وأمام تفاقم الشعور بالعداء والشك السياسي اللذان يعتبران محصّلة لظاهرة الإغتراب السياسي، فإنّ من شأن هذه العوامل أن تخلّف ما يسمى "بالفجوة الثورية". هذه الفجوة تنجم عن شعور الجماعات الهامشية بالإحباط الناتج عن عدم تلبية مطالبها، وقد يصاحب الشعور بالإحباط سلوك العنف والعدوان»[1]، فالإغتراب السياسي غالبًا ما تكون الطبقة الحاكمة المسيطرة على المجتمع فتفرض قرارات وقوانين ظالمة وصارمة في حق الشعب، مما يساهم ذلك ظهور العنف، والعدوان في الميدان.

ب- الإغتراب النفسي:

هي حالة تجعل الفرد يشعر بإنفصاله عن الواقع وكونه إلى عالم آخر يتصوره، يوافق طموحاته أو يناسب أفكاره، والحياة التي يريد أن يعيشها مما يجعله غير قادر على الانسجام والتجاوب مع بيئته ومحيطه.

فيعرفه حمد عمر على أنه «تلك الحالة التي يشعر بها الفرد بإنفصاله من ظرف إنساني مثالي، فيتطلع تبعا لذلك إلى الانعتاق من العالم المحيط به إلى عالم من وضع نفسه، حيث

[1]- علاء زهير الرواشدة، الاغتراب السياسي، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد4، ع03، الأردن، 2011، ص 273.

يتمثل ذلك في عدم التكيف أو التجاوب مع المجتمع أو البيئة التي يعيش فيها الإنسان نتيجة لأمور طارئة أو هجمت تقاليد وعادات غريبة تحدث هزة في الشعور والوجدان[1].

الاغتراب النفسي يصيب الفرد فيشعر بالضياع، والقلق والتوتر، والإرتباك الذى يتغلغل فيه داخله، مما يؤدى إلى فقدان الإنسجام مع واقعه الحقيقي والانسحاب إلى العالم الخيالي والإفتراض أو ما يسمى بالعالم الأخر.

كما يمكن تعريفه أيضا بأنّه «حالة وجدانية عنيفة، تستولي على خيال الأديب وفكره تشعره بالحاجة الملحة إلى الفرار من البيئة التي يعيش فيها لأنها لا تتفق ومزاجه وأحلامه ولا ترضي أشواق روحه، إلى بيئة جديدة يصفها خياله، ويتوق إليها لأنها تزيد من قوة حياته الروحية وتوسع من دائرة أفقه»[2].

يمكن أن نستخلص هنا أنّ الاغتراب النفسي هو شعور يجذب الأديب إلى استخدامه عالم الخيال تاركًا عالمه الحقيقي، ليعيش في عالم افتراضي الذي وجد فيه الحرية التي يطمح إليها.

عرف (Honny) الإغتراب النفسي بأنّه «اغتراب عن الذات، حيث يبدأ أولاً بإنفصال الشّخص عن مشاعره الخاصة به وقيمه ومعتقداته، من ثم يفقد الإحساس بالذّات» فيتحلى الفرد عن قيمه وعاداته وتقاليده التي تعد رمزًا لإنتماءه إلى بلده ، يصبح إنسانا فاقدًا للإحساس بالذّات[3].

ج- الإغتراب الاجتماعى:

إنّ الطبقة السياسية والمجتمع يعدان أحد الأسباب لانتشار ظاهرة الإغتراب الاجتماعي في مناطق مختلفة، لأنّها تقيد الفرد حريته، فلا يستطيع التحرك بطلاقة، مما يؤدى إلى تمرد

[1]- نزاد حمد عمر، الغربة في شعر كاظم السماوي، دار فيداء للنشر والتوزيع، عمان، دط، 2012، ص 175.

[2]- سعاد عبد الوهاب العيد الرحماني، النص الأدبي التشكيل والتأويل، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011، ص 115.

[3]- صلاح الدين أحمد الجماعي، الإغتراب النفسي الإجتماعي، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2010، ص 58.

وكسر القيود التي صنعْتْهَا، والابتعاد إلى مكان آخر بعيدًا عن المنطقة التي تفرض نفسها عليه خاصة بالعادات والتقاليد والأفكار الإجتماعية التي تسود في المجتمع وتفرض على أفرادها.

«يعد الإغتراب أحد الأسباب التي تهدد النسيج الإجتماعي للمجتمعات ويرتكز بشكل خاص في حالة تعرض الفرد إلى الفصل أو الخلع بطريقة ما عن أفراد مجتمعه وثقافته العامة ولعلّ من أهم مظاهره الرّفض والنبذ»[1].

نفهم من خلال هذا التّعريف بأنّ: الإغتراب الاجتماعي يقصد به الرفض، فالفرد لم يعدّ يحس بأنه ينتمي إلى ذلك المحيط الإجتماعي، ويفقد قدرته على الإنسجام والتوافق معه في جميع نواحي الحياة، فيصبح منعزلاً عن المجتمع ومنغلقًا على نفسه.

ويعرف الإغتراب الاجتماعي على أنه: «حالة إجتماعية تسطير على الفرد سيطرة تامة تجعله غريبًا وبعيدًا عن بعض نواحي واقعه الاجتماعي»[2]. إنّ سيطرة المجتمع على الفرد ساهمت كذلك في رفضه للقوانين التي تفرض عليه، وفي التمرّد على كلّ ما يحيط به.

كما يعرف الإغتراب الإجتماعي أيضًا بأنه: «شعور الفرد بالإنفصال عن المجتمع المحيط به، وإحساسه بالغربة إزاءه، فهو الإنسلاح عن المجتمع والعجز عن التلاؤم، والإخفاق في التكييف مع الأوضاع السائدة في المجتمع واللامبالاة وعدم الشعور بالإنتماء بمعنى آخر هو انسحاب وانفصاله وابتعاده عن مؤسسة كانت له صلة بها في السابق»[3].

نفهم من خلال هذا التعريف أنّ الإغتراب هو شعور الفرد بأنّه لا ينتمي إلى مجتمعه ويشعر بالعجز وعدم قدرته على التكيف مع الواقع.

---

[1]– محمد الهادي بوطارن، الاغتراب في الشّعر العربي الرومنسي، دار الكتب الحديث، القاهرة، دط، 2010، ص 69.

[2]– مصطفى الشاذلي، ظاهرة الإغتراب في النقد العربي، فاس: مطبعة أنفو–برانت، الإسكندرية، مصر، ط1، 2009 ص 32.

[3]– يحيى العبد الله، الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلول الروائية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط1، 2005، ص 123.

كما يعني «الشعور بعدم الإندماج والبُعد عن المجتمع والثقافة، حيث تبدو القيم والمعايير الإجتماعية التي يشترك فيها الأخرون عديمة المعنى بالنسبة للشّخص المغترب اجتماعيًا لذلك فهو يشعر بالعزلة والإحباط»[1].

نستنتج أنّ الشعور بالوحدة ناجم عن الابتعاد عن المجتمع بما فيه من العادات والتّقاليد حيث تبدأ القيم الإجتماعية بالإنهيار، مما يؤدي نفوره منه، وعدم مشاركته.

للإغتراب صلة وثيقة بالثقافة والمجتمع ويتضح ذلك من خلال إبراز عدّة نقاط أساسية على النحو التالي:

«الإغتراب عن القيم السائدة في المجتمع: وهو البعد عن القيم السائدة في المجتمع أو رفضها.

– الإغتراب عن معايير السلوك الاجتماعي: وهو مغايرة السلوكية السائدة في المجتمع وعدم مسايرتها.

– الإغتراب وفقدان الاتجاه: حيث يظهر الاغتراب في إنهيار الهيكل الثقافي الذي يحدث بصفة خاصة حينما يطرأ انقطاع حاد في التواصل بين الأهداف والمطامع الثقافية وبين قدرات أفراد الجماعة التي حددت بما يتفق والهيكل الاجتماعي.

– الاغتراب والثقافة المضادة، هو ما يلاحظ وجوده في الثقافة التي تتبناها الجماعات المتطرفة بين الشباب خلافًا للثقافة السّائدة في المجتمع وابتعادًا عنها»[2].

إنّ الإغتراب الإجتماعي في الثقافة العربية أكثر تزيدًا في المجتمعات الغربية، فسيطرت اِنحلال القيم والمعايير بشكل واسع، فنتج ذلك ظهور صراع بين القيم والعادات والتقاليد والسلوك مما ساهم في زعزعت الهوية[3].

---

[1]– حليم بركات، الاغتراب في الثقافة، متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، دت ص 39–40.

[2]– عبد الله عبد الله، الاغتراب النفسي وعلاقته بالصحة النفسية لدى طلاب الجامعة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس وعلوم التربية والأرطفونيا"، جامعة الجزائر بن خدة، 2007– 2008، ص 58.

[3]– المرجع نفسه، ص 58.

ويمكن القول أنّ «مظاهر تشوهات قيم الذّات في المجتمعات العربية بسيادة القيم المادية، وإعلاء المصلحة الخاصة على العامة، والنفاق الاجتماعي، والسلبية واللامبالاة، وتبنى الذات لقيم الأنومي كتعبير عن حالة الفوضى الأخلاقية، حيث اللامعيارية وضعف الموجهات السلوكية والفكرية، وجميعها مظاهر تفصح عن الشعور بالاغتراب واضطراب الهوية. أما فيما يتعلق بأسباب هذه التشوهات في منظومة القيم فمنها سيادة النموذج التنموي الذي اِهتم بالكم على حساب الكيف، وعلى الاستهلاك وليس الإنتاج، وعلى الاستيراد وليس التصدير، وعلى التبعية للخارج وليس التنمية المستقلة، وعلى الانبهار بالغرب»[1].

نستخلص أن قضية الإغتراب هي انفصال الأفراد عن الروابط الاجتماعية كالعادات والتقاليد والثقافة ولا يشركون في الأعمال العامة يكتفون على الإنبهار، على التمرد والعصيان.

4- الإغتراب في الرواية العربية:

الإغتراب ظاهرة قديمة عرفتها المجتمعات الإنسانية، نظرًا لمجموعة من الظروف الإجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، وقد غدت هذه الظاهرة أشدّ أثرًا على الإنسان في العصر الآلي كونه عصرًا تعقدت فيه الحياة وكثرت أزماتها، وعلى اعتبار أن الأدب هو مرآة للواقع، فقد حاولت الرواية كجنس أدبي متميز بإمكاناته التعبيرية عكس تجربة الاغتراب وتجسيدها والإحاطة بأبعادها وتبعاتها ونتائجها من خلال تصوير شخصيات مغتربة عن مجتمعها.

أ- نماذج لروايات غربية عالجت ظاهرة الإغتراب:

جسدت الرّواية الغربية ظاهرة الإغتراب، حيث أنّ معظم الرّوايات «لأعظم الكتاب في تاريخ الأدب العالمي ابتداء من القرن التاسع عشر (قرن ولادة البرجوازية) مرورًا بالقرن العشرين حيث تحولت الحضارة إلى آلة تحقق الرأسمالية من خلالها؟ ومع الحربين العالميتين حيث إزداد تمزق الإنسان الداخلي لما يتلقاه من تأثير ووحشية الرأسمالية التي ضاعفت إغتراب الإنسان

[1]- عبد الله عبد الله، الاغتراب النفسي وعلاقته بالصحة النفسية لدى طلاب الجامعة، ص 64.

المعاصر»[1]. تناقش موضوع الإغتراب الشامل الناتج عن تعقد العلاقات الاجتماعية داخل المجتمعات الرأسمالية وقوانينها اللاإنسانية فمثلت هذه الأعمال الروائية ردّة فعل على الواقع وهروبًا منه إلى واقع خيالي.

فالرأسمالية كنظام اقتصادي جائز بقوانينه الإنسانية علاوة على الحروب الوحشية ساهمت في إحداث شروخا وتمزقات عميقة في دواخل الإنسان الغربي، فكانت الرّواية وسيلة لقهر ذلك الإغتراب والثورة عليه، ومن ذلك مثلاً روايات «الطاعون والغثيان وجلسة سرية قد حملت تعاليم الوجوديون إلى آلاف مؤلفة من البشر لا يقرؤون بحوثا فلسفية متخصصة»[2].

فالفلسفة الوجودية نقلت الإغتراب من خلال الأدب، حيث وجدت فيه ضالتها لأنه أفضل وسيلة تجسّد صراع الفرد داخل الكون، والذي لا يمكن التعبير من خلال الفلسفة (الكتابة الفكرية المجرّدة)، وإنّما يكون ذلك من خلال الملموس الذي يمثل الأدب.

فرواية "الغريب L'étranger" لـ ألبير كامي من أبرز الروايات التي ظهرت في المجتمع الإنساني وحادثة الموت هي محور فلسفة الرواية، ومركز سؤال الوجودي الصعب»[3]. هذه الرّواية تناولت أزمة الوجود الإنساني في هذا العالم.

فـ«الإحساس باللافرق في هذا الكون، في اِغتراب الإنسان عن نفسه وعن مجتمعه اللافرق بين الموت والحياة»[4]. يصور هذا المقطع في الرّواية كيف أنّ البطل يُحكم عليه بالموت فيصبح عاجزًا على إدراك الأشياء التي تدور حوله، فوصله نبأُ موت والدته، فلا يشعر بأي حزن، وحين أتى حكمه، لم يحس بأي قلق أو خوف.

[1]– إبراهيم محمود، حول الإغتراب الكفكاوي، رواية المسح نموذجًا، مجلة عالم الفكر، ص 85.

[2]– جون ماكرون، الوجودية، تر: أمام عبد الفتاح، دار الثقافة للنشر والتوزيع، دط، 1887، ص 284.

[3]– عادل الألوسى، الاقتراب والعبقرية، تج، ماجد فقري، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر ط1، 2003، ص ...

[4]– Albert Conus, L'étranger. enag, édition Alger, 2001, P 127.

كما صور "سارتر" في «رواية الغثيان (La nausée) الصادرة عام 1938، الإحساس بالقلق والنفور، والتصدع القائم بين الفرد والمجتمع، الذي لا يتوانى عن سحقه وظلمه من خلال شخصية البطل أنتون روكشان»[1].

تصور رواية الطاعون لـ "كامي" حالة الإنسان في الكون، والمشاكل التي يُعاني منها وإحساسه الدائم بالغربة حيث يُجسد وضع الإنسان وقد واجهته مشكلة السير وحتمية المعاناة والإحساس بالغربة كما يصور قصوره أمام لامعقولية ما يحدث في هذا العالم الموبوء، وقد استعار "كامي" الطاعون أو الوباء ليرمز به إلى العصر الحديث، الذي انتشرت فيه الحروب وسيطرة الآلة على الإنسان، عصر الرأسمالية المادية التي خنقت القيم الإنسانية بقوانينها اللاأخلاقية واللاإنسانية ، وعليه فإنّ رّواية الطاعون وما تصوره من وهران المعزولة عن بقية العالم، وما تعانيه من الوباء وضحاياه الذين يتساقطون، تعد صورة للوحشية الكونية، أو لعدم معقولية وضع الإنسان، إنّ صفة العبث التي يؤكدها في رواية الطّاعون بصفة خاصة والتي يتمرد عليه تمردًا عنيفًا ليست إلا مشكلة الشر[2].

إنّ كلمة الطاعون هي إشارة على قهر الإنسان وإحساسه بالظلم ومعاناته من الألم والبؤس والاضطهاد، والعزلة داخل نفسه.

ونجد "فرانز كافكا" يعطي رؤية واقعية عن الإغتراب الوجودي في المجتمع، فتحدث معظم رواياته عن الظلم والإضطهاد والإستغلال التي تمارسه البرجوازية على العمال، أو بما يسمى الرأسمالية مما جعله يبتعد عنها «أصبح المحل في حد ذاته يصيبني بالغثيان وأذكر بحرجه خاص أسلوبك في معاملة المستخدمين... كنت تسميهم الأعداء الذين يتقاضون أجرًا»[3].

---

[1]– أمينة بوعلامات، الشخصية المغتربة في الرّواية الجزائرية، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة تلمسان، 2016– 2017، ص 31.

[2]– المرجع نفسه، ص 31.

[3]– نقلا عن روحية لحارودي، واقعية بلا صداف، ترجمة حليم طومسون، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1968، ص 125.

نستخلص مما سبق أن الرّوائيين الغربيين أمثال "كامى" و"سارتر" و"كافكا" صوروا الاغتراب في عصر الرأسمالية و مايسببه للانسان من خوف وقلق ووحدة بسبب القوانين الجائزة واللاإنسانية التي كان يفرضها عليه، وهذا ما دفعه إلى الغربة والإغتراب عن عالمه ومجتمعه.

ب- الإغتراب في الرّواية العربية:

عبّرت الرّوايات العربية عن ظاهرة الإغتراب في الواقع العربي وأبانت عن أسبابها السياسية والإجتماعية والثّقافية، «فالإنسان العربي يولد اليوم في أجواء التسلط، والإكراه وينمو في مؤسسات التخريب، وينتهي إلى زنزانات الخوف»[1].

فالإنسان العربي في حاضره وماضيه يعاني من الاضطهاد والإستعمار الذي خلّف في نفسه الخوف والعزلة، وجعله يتغرب عن دياره بعد أن شعر بالعزلة فيها. فلجأ الكتاب والمؤلفون للتعبير عن أوضاعهم من خلال النصوص الروائية ، والتعبير عن وجدانهم، وما يعيشونه في الواقع الإجتماعي وسيطرة الطبقة الحاكمة على كل شيء.

وتعد الرّواية الفلسطينية من أكثر الروايات العربية تعبيرا عن الغربة والإغتراب، فهي تعيش حتى الآن مع الاستعمار الصهيوني «تظل الرّواية الفلسطينية في طليعته الرّوايات العربيّة التي ناقشت قضية الاستعمار، وأثره في إغتراب الإنسان، وعجزه عن التغيير، فنجد الرّوائي هاني الراهب يصوّر إغتراب البطل الوجودي وينتقد البنية الإجتماعية الدّاخلية العربيّة، وطبيعة التّفكير الجمعى المتمثل في القيم والتّقاليد المتحجرة، إضافة إلى تصويره للبعد السياسي المتردى بسبب الصهيوني»[2].

إضافة إلى ظهور العديد من الرّوايات الفلسطينية كرواية "البحث عن وليد مسعود" و"السفينة لإبراهيم جبرا"، و"رجال في الشّمس لغسان كنفاني"، ورواية "الوقائع الغريبة لأبي نحس

[1]- علي وطفة، مظاهر الإغتراب في الشخصية العربية، مجلة عالم الفكر، ع02، ديسمبر 1983، ص 241.

[2]- ناصر يعقوب، اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية، دار الفارابي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2004 ص 29.

المتشائل لإميل حبيب" التي عبرت عن ضياع الفرد الفلسطين وحرمانه من حقوقه تحت نيران الاستعمار الإسرائيلي الذي كان سببًا مباشرًا في كلّ أنواع اغترابه المكاني والنفسي والسّياسي.

كذلك تناولت روايات عربية بشكل خاص واقع المثقف المغترب داخل المجتمعات العربية، لأنّه يشكل خطرًا جسيمًا على السلطة السياسية لحنكته، وتفكيره الحكيم، ومن هنا ظهرت شخصيات في الرّواية تمثل هذه الأدوار، تحاول أن تجسد ما يدور في الواقع من تهيمش وضياع، وما يعانيه من الاغتراب خارج وطنه، فالبلد الأجنبي يختلف تمامًا عن وطنه الأصلي فحاول أن يندمج فيه رغم صعوبة الأمر فيه وذلك من خلال رواية "عودة الطائر إلى البحر" "خمسة أصوات"، "الرحيل بين النهر والوتر" للكاتب العراقي غائب طعمه فرمان، ورواية "عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم، وكذلك رواية "قنديل أم هاشم"، و"الحيّ اللاتيني"، و"موسم الهجرة إلى الشمال" و"الغربة"، فكلّها روايات صورت أزمة المثقف الذي صعب عليه التأقلم مع الأفكار القديمة التي يتخبط فيها مجتمعه، ورفضه للاضطهاد السياسي، فقرّر الهجرة، لكنه أيضا يصطدم بواقع آخر مرّ يجعله غير قادر على التأقلم في غربته وهكذا يعيش حياته بين حجمين (الوطن والغربة).

الفصل الثاني

ماهية الاغتراب وتجلياته في الرّواية

1- الاغتراب المكاني.

2- الاغتراب النّفسي.

3- الاغتراب السّياسي.

سنحاول من خلال هذا الفصل الكشف عن أهم أنواع للاغتراب التي وردت في رواية "بريد اللّيل" لهدى بركات، وعن أثرها في شخصياتها، وردّة فعل هذه تجاه غربتها.

1- الاغتراب المكاني:

يقصد بالاغتراب المكاني الغربة، أي اضطرار الإنسان إلى الابتعاد عن وطنه الذي ولد فيه وترعرع على أرضه سواء عن رضا واقتناع أو عن نفي وإجبار، وغالبا ما «يراود الإنسان مشاعر جراء اضطراره للانتقال من مكان يعزّ عليه مفارقته إلى مكان آخر، ذلك أن التآلف مع المكان يتبلور على شكل شعور بالمواطنة، وشعور بالمحلّية، وكأنه الكيان الذي لا تحدث الأشياء بدونه، ولا يلبث أن ينطبع في ضمير الإنسان»[1]. فعلاقة الإنسان بوطنه علاقة مميّزة، إذ يرتبط به ارتباطا وثيقا ولذلك يكون تأثيره فيه أمرا محتوما، حيث يترسخ في وجدانه العميق، والفرد «لا يحتاج فقط إلى مساحة جغرافية يعيش فيها، ولكّنه يصبو إلى رقعة يضرب فيها بجذوره وتتأصل فيها هويته، ومن ثم يأخذ البحث عن الكيان والهوية شكل الفعل على المكان لتحويله إلى مرآة ترى فيها الأنا (صورته)، فاختيار المكان وتهيئته يمثلان جزءا في بناء الشخصية البشرية»[2].

وعليه كان أمرا طبيعيا أن تنجم علاقة المحبة ووشائح الانتماء بين الفرد والوطن تشده إليه دوما وتجعله يُحس بالألم والحزن والضياع كلّما ابتعد عنه وفارقه، ومن هنا ندرك بأنه كلما اتخذت العلاقة مع الوطن أبعادا أكثر عمقا وارتباطا أكثر حميمية كلّما كبرت معاناة الفرد، إذا ما تعرّض هذا المكان للفقد أو الضياع (الاستعمار)، أو إذا ما اضطّر لمغادرته لسبب من الأسباب، سواء أكان ذلك باختياره أو كان مجبرا عليه، إذ «ما زالت النفسية العربية منذ أبعد العصور، كما هي بمقوماتها، لم يُبدّل فيها الزمن كثيرا، فالعربي ما

[1]- ينظر ياسين النصير، الرواية والمكان، منشورات وزارة الثقافة، بغداد، العراق، 1980، ص 05.

[2]- يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني، تر وتقديم: سيزا قاسم، مجلة ألف، ع 06، 1986، ص 83.

يزال يخشى فراق الأرض التي نشأ فيها، ويُحس بالحنين وبالغربة أينما اتّجه، فالنفي يُفزعه والهجرة تُضنيه»[1].

تبيّن الرّواية بمصائر الغرباء المهمشين، المهاجرين والمهجرين والمنفيين وكلّهم ممن عاش تجارب الحروب والثورات المفترسة في بلدانهم العربية، التي دفعتهم إلى مغادرتها بحثا عن أماكن آمنة يستقرون لها وكانت تلك الوجهة التي اختاروها، لكن الإندماج في الغرب لم يكن بالأمر السهل، فهانت الشّخصيات واجهت مشاكل ومخاطر عديدة جعلت، مَليّةُ التأقلم هناك صعبة للغاية.

فقد بنى نص بريد اللّيل فضاءه المتخيل من عمق أزمة المهاجرين العرب في أوروبا حيث يرسم السّرد المسار الموجع للشّخصيات من خلال الرّسائل معبرًا عن توردها النفسي قائدًا بالقارئ إلى قلب الموجع [....] الشّخصيات تروى حياتها في عالم الغربة، فهم «أفراد مهاجرون تركوا بلدانهم العربية، نتيجة الحروب والفقر وغادروها إلى بلدان أخرى فرارًا ليلاقوا مصائر حتمية سواء في تلك البلدان الجديدة، وبقوا مغتربين عن أنفسهم وعن واقعهم، إنّها ليست هجرة عادية، بل انتقل إلى عالم مهلول بالوحشية، وبالغربة»[2] ونفس تلك الشّخصيات تحن إلى أوطانها وتشتاق إليها وتصبو للعودة إليها، فالانتقال إلى مكان جديد يفرض عليها وضعًا جديدًا غير معتاد، ينتهي الشّعور بعدم الألفة والتّهميش لأنّ اِختلاف البيئة الثّقافية الناتج عن الفروق الحضارية بين البيئتين يولد صعوبة اندماج المهاجر في البيئة الجديدة فيتملكه الإحساس بأنّ المكان غريب عنه، أو أنّه هو غريب عن المكان، فيجد نفسه غير قادر على التأقلم مع محيطه، «ولعلّ اِستخدام الشّخصيات للتّعبير الكاتبة عبر الرسائل الورقية نوعًا من أنواع التّهميش، وهو التّهميش الفكري والقولي، فليس ثمة من يتفهم الحالات

[1]– فهمي ماهر حسين، الحنين والغربة في الشعر العربي، مطبعة الجيلاوي، مصر، 1970، ص 37.

[2]– نشيدة موساوي، متخيل المهجر ووجع الهوية بين البوح والاعتراف قراءة تأويلية في رواية بريد الليل (الهدى بركات) مجلة المدونة، المجلة 08، ع 01، مارس 2021، ص 656.

النّفسية والظروف القاسية التي يمكنهم مشاركتهم إيّاها وليس ثمة تواصل بينها وبين محيطها بفعل حاجز الهوية واللّغة»[1].

واختيار الرّسائل من قبل الشّخصيات للبوح والتّعبير عن مكبوتاتها، تعكس الوحدة والغربة التي كانت تعيشها وتشعر بها، إذ أنّ التّواصل مع الآخر منعدم.

وأبسط المواقف يوضح معاناة هذه الشّخصيات فعدم إتقان اللّغة جعلها تحس بالتيه والضياع في المكان الجديد، تقول الشّخصيات: «أنا لا أملك إحساسًا بالاتجاهات، أضيع بسرعة، وحين أضيع وأخاف لا أعود أجد أيّا من العلامات التي كنت عاينتها على الطّريق كي لا أضيع، تسند الرؤية في عينيّ وأصح من هلعي كالعمياء، ولا أجرؤ على سؤال المارّة عن طريق عودتي إلى الفندق، هذا في حال كنت أتقن لغة النّاس هناك، أو أنهم سيستعملون لمساعدتي إشارات في خريطة ذهنّية، لن يعلق منها شيء في ذهني»[2].

وتزداد معاناة المهاجر عندما يشعر أنّه منبوذ وغير مرغوب فيه في المكان الجديد الذي انتقل إليه «فأهالي البلاد الذين يعيشون في مجتمعهم، غير مستعدين لتأويته فردًا منهم وغير مستعدين لمنحه الثّقة الكاملة، فهو مكان أصلها بالنسبة إليهم أجنبي، لا يستطيع أن يمحو هذا المسمى عن نفسه، حتى لو سلخ جلده، ودهنه بلون أهالي البلاد الّذين يخلّو بين ظهرانيهم»[3]، وهو ما يوضّحه المقطع التالي من الرّواية لأحد الشّخصيات التي تخشى أن يطرد من أوروبا، يقول: «لن يسمحوا لي إذا قبضت عليّا الشرطة سوى بالعودة إلى البلاد إن سمحوا يهمّهم أن يتخلصوا منا»[4]، كذلك تعبّر شخصية الألباني في المقطع الموالي عن الكراهية التي يكّنها أهل البلد للمهاجرين على لسان الشرطة، التي تحقّق في مقتل المرأة

[1]– دلال بنت بندر المالكي، الشّخصية المهمشة وتشكلات الفضاء البدائي، دراسة موضوعية في رواية هدى بركات بريد الليل، مجلة، ع68، ص 477– 478.

[2]– هدى بركات، بريد اللّيل، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 2012، ص 43.

[3]– طالب ياسين، الاغتراب تحليل اجتماعي لأحوال المغتربين وأوضاعهم، المكتبة الوطنية، ط1، عمان، الأردن، 1996، ص 44– 45.

[4]– هدى بركات، بريد الليل، ص 59.

الأوروبية «هل أكلتما لحم المرأة؟ وتتساءلون لماذا تخاف منكم النّاس ولماذا تكرهكم؟ يلّلا كلّ إلا بلده»[1]. فالآخر الأوروبي ينظر إلى المهاجر على أنه متوحش، وعدواني وعنيد وعلى أنّها صفة متأصلة فيه.

وفي مقطع آخر تتضح نظرة الآخر الأوروبي للمهاجر العربي من خلال ما صرحت به إحدى النساء الأجنبيات عن حبيبها «هذه شعوب غريبة رجالها معقّدون، مرضى [...] كرهته وكرهت عقده الكثير، تلك التي يبدو أنه قد حملها من طفولته البائسة في بلده المعتلّ»[2].

وكذلك ما صرّحت به شخصية أخرى من شخصيات الرّواية: «لم يطقني أحد منهم. وعلى الرّغم من خلافاتهم فإنّهم اتّفقوا فيما بينهم، على أنّى "مشبوه" ومنتفع، وتجبُ مراقبتي [...] عدا ذلك، أنا متخلّف، عدائيٌ عنيف»[3].

كذلك تحذر قوانين البلد الجديد من التعامل مع المهاجرين فهم غرباء تتخذ مجموعة من الإجراءات والتدابير المشدّدة، يوضح هنا المقطع ما يعانيه المهجر حتى وإن وجد أحد الأجانب ممن يرحمه ويأويه يقول: «سألتها إن كان إيوائي يعرّضها للخطر، فأجابت بأنّ القانون يمنعها من إيواء المهاجرين الغرباء، وخصوصًا من لا يملكون أوراقًا»[4].

كذلك تعاني الشّخصيات من التمييز العنصري وهو ما يوضحه قول الألباني عندما كانت الشّرطة تحقق معه، يقول: «سنوات وأنا أهرب، لأنّي وُلدت في أرض ملعونة، وها أنا على باب الإعدام. هل يُجدي أن أتصوّر مصيري لو كنت بريطانيًا مثلاً، أو أستراليًا أو سويديًّا؟ هل كانوا "سيحققون" معي بالطريقة نفسها؟ أحيانًا أفكّر في أنّى ذكرُ الضّبع الذي نفته الأمّ الأنثى، أي الحياة. ولن يقبل بي أيّ قطيع»[5].

---

[1]- هدى بركات، بريد الليل، ص 110.

[2]- المصدر نفسه، ص 97-98.

[3]- المصدر نفسه، ص 27.

[4]- المصدر نفسه، ص 60.

[5]- المصدر نفسه، ص 110.

ثم يتحدّث عن مصيره الذي آل إليه وهو الطرد إلى بلده ألبانيا الذي هاجر منه وهرب من الفقر ومن الظّلم، يقول: «لن يكلّمني أو يستمع إليّ أحد ابتداءً من هذه اللّحظة. التحقت الآن بنفايات الطّبيعة، كجيفة حيوان فاسدة. وهكذا، سيُلقون بي في الطائرة، ويربطون أطرافي إلى المقعد»[1]. فهو لا قيمة له كإنسان في وطنه يشبه نفسه بالجيفة أو بالنفايات.

كما رصدت الرّواية الأحوال المأساوية التي يعيشها المهاجرون من خلال يومياتهم في البلدان التي هجروا إليها، وهذا ما توضّحه مشيرة: «نمت في الطرقات مع الأفغان والإثيوبيّين. كان الصليب الأحمر وبعضُ الإسلاميّين يأتُوننَا بالأكل والبطانيّات. لكّنهم طردوني بسبب الكحول. صرت ألجأ إلى تجمعات حاملي القناني السكارى. ولم يُطلْ بي الأمر بينهم. ضربوني وأخذوا سترتي الشتوية في عزّ البرد»[2].

وتعبّر إحدى الشّخصيات أيضا عن المصير ذاته، من خلال وصفها يومياتها الصّعبة أيام الشّتاء في المهجر «كنّا ندور في الشوارع نسرق أحيانًا ونتسوّل أحيانًا كثيرة وأنا أنسى، أضحك كثيرًا وأتسلّى. وفي اللّيل، أذهب إلى حيث يسكرون وينامون، في زوايا الطرقات تحت الجسور أو في مراكز استقبال حين يشتدّ البرد»[3].

ويصف المشهد الموالي معاناة المهاجرين، حيث يسكنون الخيام، وينعزلون عن النّاس، وتتم حراستهم من قبل الشرطة كأنهم مجرمون «وجدنا الحقل الذي يمتدّ أمامنا مليئًا بالخيام الصّغيرة الملوّنة كأنّها زهور نبتت في الحشيش، ثم أتت الحافلات محمّلة بالنّاس مع النّساء والأطفال، أنزلوهم في المساحة المسوّرة بالشريط الشائك. والتفتْ حول المكان أفواج من رجال شرطة راحوا يكلمون النّاس بمكبرات الصّوت ومن خلف دروع بلاستيكية»[4].

[1]- هدى بركات، بريد الليل، ص 111.

[2]- المصدر نفسه، ص 58-59.

[3]- المصدر نفسه، ص 91.

[4]- المصدر نفسه، ص 94.

علاوة على ذلك تَهِينُ كرامة هؤلاء المهجرين من قبل رجال الشرطة عندما يفتشونهم ويجبرونهم على التعري بقول أحدهم مقرًا عن ذلك: «نحن الآن يعرّوننا لأتف إجراء: يلّلا اخلعوا أثيابكم يلّلا، كل الثياب. والكلاسين»[1].

وتروي في مقطع آخر إحدى الشّخصيات كيف كانت ربّة المنزل التي كانت تستخدمها في الأشغال المنزلية، تعاملها بسوء مما ولدّ فيها الكراهية وجعلها تحس بأنّها أدنى درجة من الآخرين تقول: «المرأة التي عملت في بيتها، لإزدياد حاجتي من أجل البنت، لن تكن تطيقني، صفعتني مرّة وسكتُّ، قالت لذّتها إذلال النّاس [....] لا شيء يوقظ الكراهية مثل الفقر»[2].

أصبحت هذه المرأة تشعر باغتراب عن الآخرين الذين تخدمهم، هنالك هوة واسعة وفرق واضح بينها وبينهم، هم يعيشون الرّفاهية، وهي خلقت لتخدمهم وتلبيّ حاجاتهم، تقول: «كسرتني الخدمة، صِرْتُ خادمة لكل شيء، ولأي شخص [...] لو كان هناك نشيد لخدّام الأرض لحفظته ولم أتوقف عن ترداده، والأخرون الذين خلقنا الله لخدمتهم، يستمتعون بقضم فاكهة الحياة بأسنان قوية»[3].

هذا الانفصال وهذا الشّعور بالتوثيق ولدّ إحساسًا عند هذه الشّخصية بعدم أهميتها وبعدم جدوى وجودها في هذه الحياة: «أشعر أحيانًا بأنّ الله خلق بعض البشر بلا لزّوم مخلوقات لا فائدة من عيشهم المُضني ولا حاجة لأحد إليهم. هكذا كما خلق الذباب المؤذّي الذي ينقل الأمراض ويبِيضُ على الجثث»[4].

علاوة على ذلك فإنّ هؤلاء المهجرين تنتهك حقوهم، ولا سبيل إلى حمايتها لأنهم غير قادرين على ذلك، فهم في وضع الضعيف الذي يقبل بأي عمل مهما كان نوعه ومهما كان

[1]- هدى بركات، بريد الليل، ص 93.

[2]- المصدر نفسه، ص 81.

[3]- المصدر نفسه، ص 83.

[4]- المصدر نفسه، ص 83.

الأجر الذي حصله منه لأنّه يعيش هناك بطريقة غير شرعية ويوضح المقطعان المواليان من الرّواية ذلك، تقول إحدى الشّخصيات: «إذ من يكون في مثل حالي لا يرفض عملا بأي أجر كان، أي أجر في وضعي هو أجر محترم»[1].

ويقول: «أنا المفلس حدّ المهانة، هل اعترضتُ؟ هل تركتُ الشغل؟ كنت أمشي كحمار يشد رسنه بنفسه [...] انشغلنا بالبحث عن عمل آخر يشبه بالطبع ذلك الذي طُردنا منه، يسندنا ولو لبضعة أشهر، لذا كان علينا، من أجل ذلك، أن نصمت تمامًا، وأن نبدو مطيعين قنوعين. فمن دون عقد عمل، لا سبيل إلى الشكوى»[2].

إنّ صعوبة إيجاد عمل في المهجر تجعل المهاجرين يخضعون كل أوامر مُستَخدميهم، وتجبرهم على القبول بمعاملتهم السيئة، لأنّ ليست لديهم خيارات كثيرة، يقول أحدهم: «بدأت أفكر، كيف سأعيش هنا من دون إقامة، مهاجر غير شرعي، لن يُحصل عملاً، مستحيل [....] صرتُ معدمًا، مفلسًا وبلا أوراق»[3].

وتروي إحدى الشّخصيات كيف أنّها طردت من عملها في الفندق بعد أن فضحت سائحا عربيًا اِغتصبها، ولما اشتكت للمسؤولين، طردتُ من العمل بدل حمايتها. لأنّ هدفهم حماية مصلحتهم، تقول: «استدعت أمن الفندق، ومدير شؤون الموظفين وأريتهم البقع الحمراء وأثار الضّرب، وثيابي الممزوقة سحبوني إلى الطابق الأرضي، ولما استمررت في الصّراخ قالو: نحن نعلم بأنك مومس، لكن أن تفتعلي فضيحة من أجل إبتزاز الثري، لأنه عربي يخاف الفضائح، فهذا ما لا يسمح به، وطردوني»[4]. وتعبر مومس عن مأساتها وآلامها والعنف الذي تعرضت له أثناء أداء عملها.

[1]– هدى بركات، بريد الليل، ص 25.

[2]– المصدر نفسه، ص 26.

[3]– المصدر نفسه، ص 27، 28.

[4]– المصدر نفسه، ص 79.

هكذا يعيشون هؤلاء النّاس غرباء في بلاد المهجر، ويقبلون بحياة كلّها ذل ومهانة بعد أن رفضتهم أوطانهم يقول أحدهم: «ونروح نردّد بمرارة، عزاء واحدنا للآخر، بأنّها شروط العيش في المهجر وبأنّنا يتامى، بلداننا وأهلنا فقراء»[1].

ومن أجل مقاومة مشاعر الاغتراب لم يكن أمام هؤلاء المهاجرين إلا العودة بالذّاكرة إلى الماضي، يسترجعون ذكرياتهم طفولتهم وأيامهم الجميلة في أوطانهم، حتى يواجهون واقعهم المر، وتتحدث إحدى الشّخصيات عن طعم الفاكهة في وطنها وتصف طعمه الذي لا مثيل له، تقول: «ولكّني أتذكر طعم الأكيندنيا، ذلك الذي لن يعود أبدًا بتلك الحلاوة، حيث يجمل الحنين الأشياء التي لا تستعاد»[2].

تتذكر كيف كانت صبية يافعة وكان الأمن يعم وطنها لكن فاجعة أصابته فدمّرت كل جميل فيه، تقول: «كي أراك، وأرى معك كيف كنت أنا صبيّة وكيف كان الرّبيع جميلا وقويًا في البلاد، البلاد الذي انقضت، وقعت وتشطت كآنية كبيرة من الزّجاج»[3].

وتتذكر شخصية أخرى طفولتها الجميلة مع والدها كي تنسى عذاباتها وصراعاتها اليومية في المهجر فتقول: «لا يكفي أن أتأمّل الفتوغرافية الكثيرة، تلك التي كنّا فيها قريبين كأنّي من جسدك، تلك التي تلاعبني فيها، أو تُطعمني، أو تحملني عاليًا، أو تنحني سريري وتلك حيث تُريني ضاحكًا وفخورًا لأمّك وأبيك، وحيث تحمل شنطتي في طريق المدرسة وحيث نأكل البوظة وأنا أبكي لأنّها ذابت وسالت حتى كوعي»[4].

وتعود شخصية أخرى إلى ذكرياتها في وطنها على الرّغم من قسوة تلك الأيام، إلاّ أنّه يحنّ إليها لأنّه كان بين أهله وخلانه، فلا يجد ما يفعله في وقت فراغه إلا استرجاعها

[1]– هدى بركات، بريد الليل، ص 25.

[2]– المصدر نفسه، ص 41.

[3]– المصدر نفسه، ص 41.

[4]– المصدر نفسه، ص 85.

يقول: «لماذا أعود إلى تلك الأيام لأنّ لديّ وقتًا طويلاً أصرفه هنا، وأنا محتار من أمري ويعنّ لي أن أتكلّم إليك، فأنت لم تريني منذ سنين، ولا تعرفين شيئا عنّي منذ خرجتُ»[1].

2- الاغتراب النّفسي والاجتماعي:

يعرف الاغتراب في علم النّفس على أنّه «شعور بالوحدة أو الغربة، وانعدام علاقات المحبة أو الصداقة مع الآخرين من النّاس»[2]، وذلك يعني أنّ أساس نمو هذه المشاعر المغتربة وتفاقمها لدى الأشخاص نابع أصلاً بنتيجة عدم قدرتهم على خلق علاقات مع الغير، كما نجد تعريفًا أخر قريبًا من الأول يرى أنّ الاغتراب هو «اضطراب في العلاقات مع الآخر، وهو تغيّر وتبدّل في وظيفة التّواصل»[3].

وعليه يُعتبر التّواصل الجيد مع الغير عملية مهمّة في بناء شخصية ذات نفسية سويّة قادرة على تجنب مثل هذه المشاعر السّلبية (الاغتراب والعزلة كنتيجة له).

ويُعدّ "سيغموند فرويد"(Sigmond Freud) من أبرز علماء النّفس الذين ناقشوا هذه الظاهرة باستخدام مصطلحات علمية دقيقة الأنا والأنا الأعلى والهو، فهو يرى «بأنّ الاغتراب ينشأ أساسًا إذا ما فشل الأنا في أداء وظيفة المتمثلة في العمل على التوفيق بين مطالب، الهو، والأنا الأعلى بالإضافة إلى مطالب العالم الخارجي»[4].

لأن بعض الدوافع الغريزية التي يطمح الهو إلى إشباعها وتكون مناسبة مع العالم الخارجي، ردّة الفعل سلبية تجاهه، لأنّه يشكّل مصدر الألم والإحباط، ويكون الإحتماء من هذه المشاعر عن طريق الانفصال عنه وقطع الصلات به (الاغتراب) وفي هذه الحالة يصبح الأنا خاضعًا للهو المنفصل عن الواقع، وهذا هو الاغتراب حسب المفاهيم الفرويدية.

---

[1]- هدى بركات، بريد الليل، ص 52.

[2]- كمال السوفي، "دخيل، علوم النّفس"، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1988، ص 77.

[3]- Dictionnaire de psychologie, Edition drdas, 1980, P 50.

[4]- سيغموند فرويد، قلق حضارة، تر: جورج طرانيش، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1979، ص 08.

في حين تركز "كارين هورني" « على الجانب الثّقافي، والظروف الإجتماعية كبواعث للإغتراب، متبعدة عن التّحليل الفرويدي الذي يحصره في الجانب الغريزي المكبوت للفرد حيث ترى كارين هورني أنّ حياة الفرد داخل إطار حضاري مادي تسوده قيم الاستغلال والفردية، والتنافس تجاه بعضهم البعض»[1].

ويقوم مفهوم عالم الإجتماع الفرنسي دوركايم (Durkheim) على فكرة تفكك القيم والمعايير الاجتماعية، حيث لا تتمكن من السيطرة على السلوك الإنساني وضبطه»[2] فتظهر مشاعر العبث والقلق واليأس، ويعبّر "جرودزن" عن الاغتراب «بكونه الحالة التي يشعر فيها الأفراد باللإنتماء إلى المجتمع أو الأمة، حيث العلاقات الشّخصية غير ثابتة وغير مرضية»[3].

فعادة ما تُسيطر مجموعة من القيم والمعايير والمقاييس على المجتمع، على الفرد الامتثال لها حتى يكون على وفاق تام مع الحياة داخل هذا المجتمع، فإذا رفضها ولم يقبلها «فإنّ نمطًا من الانفعال الإجتماعي والثّقافي ينشأ به»[4].

وهكذا يغترب الإنسان عن القيم السائدة فيه، ويعرّف "ميلفن سيمان" هذا النّوع من الاغتراب كونه: «شعور بالغموض أو نوع من الرّفض للقواعد والتعلّمات التي يفرضها المجتمع، ويمكن أن نربط بهذا التوقع القول بأنّ أنماط سلوك غير اِجتماعية (لا يوافق عليها المجتمع) يمكن أن يكون ضرورية لتحقيق غايات هامة في حياة الفرد»[5].

وبالتّالي يصبح لهذا الفرد، داخل المجتمع قيمه الخاصة به التي يشرعها لنفسه وتكون ضرورية بالنسبة له في بناء كيانه كشخص على الرّغم من رفض المحيط لها، من

[1]– Raren Horney, La personality Névroticue de noticteмps, Traduit par : Jean Paris, L'arche éditeur, Paris, 1953, P. 118.

[2]– بسام خليل فرنجية، الاغتراب في أدب حليم بركات، مجلة فصول، المجلة، ع1، 1983، ص 209.

[3]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]– ريتشارد شاخت، الاغتراب، ترجمة: كمال يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1998، ص 239.

[5]– حير الله عقار، مبادئ علم النّفس الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 18.

هنا يحدث الانفصال بين الجزء والكل، بين الفرد والمجتمع تحدث القطيعة على الصعيد الفكري والنفسي.

وقد صوّرت رواية "بريد الليل" في العديد من مشاهدها الإغتراب الإجتماعي والنفسي الذي يسيطر على شخصياتها، فهي شخصيات قلقة، كئيبة، يائسة، تشعر باللأمان واللاستقرار والوحشية في الأماكن التي انتقلت إليها، وفي ما يلي من تصريحاتها ما يعبر عن ذلك: «أتفرّج على اللّيل. أتفرّج على ليل من هواء غريب لا بلاد له. سيمك من القطران اللّزج يلتصق بالجفون وباليدين. هذه ليست حياتي، لا أدري كيف انزلقتُ فيها، ولا من دفعني لأتسربل بمصيري هذا وأقفل كل أبواب ورائي»[1].

«حين تكون المرأة خارج البيت أشعر أحيانًا بحزن كبير. أقول في نفسي إنّ حياتي بلا معنى»[2].

«فوجئت بانفتاح كوّة في جدار روحي، كوّة يأتي منها البرد الصقيع»[3].

«والله عبث. أكثر أيّامي تنقضي عبثا في عبث»[4].

«لأنّ وحشة ذلك الرجل، كاتب الرّسالة، تشبه وحشتي كثيرًا»[5].

«رسالة إمرأة وحيدة، وحدانية متوحشة مثلي»[6].

«ذلك الخوف، ذلك الهلع، اِستحوذ عليّ تمامًا، أخذني إلى قيعان عميقة سوداء وجعلني على حافة الجنون»[7].

«لا أريد الاستغراق في أخبار عذاباتي وتفاصيلها»[8].

---

[1]– هدى بركات، بريد الليل، ص 83-84.

[2]– المصدر نفسه، ص 63.

[3]– المصدر نفسه، ص 37.

[4]– المصدر نفسه، ص 28.

[5]– المصدر نفسه، ص 33.

[6]– المصدر نفسه، ص 33.

[7]– المصدر نفسه، ص 87.

[8]– المصدر نفسه، ص 87.

«سيبكي في اللّيل أمّه وحيدًا، بعيدًا وغريبًا»[1].

«أنا مريض في جسمي، ومريض في روحي، ولم يعد من أمل في الشفاء»[2].

تعدّ تلك المشاعر (القلق، الخوف، اليأس، الإحساس بالعبثية، الحزن، الوحشة) نتائج طبيعية لاغتراب تلك الشّخصيات، وعدم قدرتها على بناء جسور تواصل مع الآخر فالمغترب عادة ما يشعر بأنه مرفوض من قبل الآخرين في البلد الجديد الذي انتقل إليه يدفعه إلى العزلة وعدم الرّغبة في مخالطة مُواطنيه الذين يعتبرونه أجنبيًا عنهم، ذلك أنّ العلاقة معهم تكون هشة مهزوزة ومضطربة فشخصيات الرّواية اختارت الإنسحاب والعزلة كتعبير عن رغبتها أو كمقاومة لها.

إذ لم تكن قادرة على التأقلم في البيئة الجديدة، يقول إحداها: «لذا اعتذرت عن اقتحام هذه المساحة الصغيرة التي انسحبت إليها من هذا العالم»[3]. تقصد بذلك تلك الغرفة التي إكْتراها صديقها العربي وقرّر الابتعاد فيها عن صخب الحياة، وقد كانت جدّ متضايقة من قراره ذلك لأنّه كان يتبعها ويجعل علاقاتهما مَهْزُوزَةً تقول: «وحدته التي كانت تستدعي جنوني، صارت هاجسا عنيدًا ينخر رأسي، لم أعرف له صديقًا واحدًا، قريبًا واحدًا أو عشيقة واحدة تمكث معه أكثر من أسبوع»[4].

كونها غير مقبولة في المجتمع الجديد، فتضطر إلى استبداله بمجتمع آخر يعانون مثلها في ذلك الفضاء العربي تقول: «صار تعلُّقي بالبُرص والمجذومين، أُعني بمرض الوحدة والوحشة، حبًا ومعاشرة. وهم كثيرون، هؤلاء الذين قذفتهم الحياة بالقوّة إلى هوامش العزلة، وسوّرتهم بالنفي الإلزامي في حظيرة اللاّمرئيّين. لا يرون أحدًا، ولا أحد يراهم. أيّ تسرّب إلى وراء السّور ينتهي بكارثة التنافر العنيف، كما يحدث بين مادّتين لا تملكان ولو

[1]- هدى بركات، بريد الليل، ص 55.

[2]- المصدر نفسه، ص 76.

[3]- المصدر نفسه، ص 17.

[4]- المصدر نفسه، ص 38.

جزئيّةً من قابليّة مغناطيسيّة. عالمنا منقطعان تمامًا، ولغات بشيفرات لا حلّ لقراءتها ولا في أيّ اتجاه»[1].

وتعبّر شخصيات أخرى عن اختيارها للعزلة في ذلك الفضاء وتأقْلُمِهَا مع وحدتها تقول: «لم أعد أتسلّى إلاّ حين أكون وحدي [....] إنّي إذن كنتُ وحدي في الدّاخل ولم أضجر، شيئًا فشيئًا ويوما بعد يوم، صارت الوحدة يذخا كاملاً مُلكًا عظيمًا، الوحيدة في مكان لا ينفس فيه أحد سواي»[2].

وتقول أيضًا: «كثيرون مثلي، ينظرون في المطعم إلى آثار الأصابع على الصحون النّظيفة أو على الكؤوس، لا لأنّهم مولعون بالنظافة، بل للتأكّد من خلوّ المائدة من آثار النّاس»[3].

ويبدو أنّ معظم شخصيات الرّواية تعود جذور اغترابها إلى فشلها في إقامة علاقة متوازنة وصحيّة مع الأم، حيث تظهر العلاقة متوترة وغير طبيعية الأمر الذي أثر على نفسيتها وجعلها مضطربة، وقلقة، فتصف كاتب الرسالة الأولى كيف تخلّت عنه أمه وتركته وحيدًا بقول: «كنت أنوي أن أكتب إلى أمّي عن تلك اللّحظة التي وضعتني فيها في القطار وحدي وأنا في الثّامنة أو التّاسعة من عمري [...] وأنا ينبغي لي القول، خائفُ، مرعوب وحيد، مستوحش وعدائيّ منذ تحرّك القطار»[4].

[1]- هدى بركات، بريد الليل، ص 91.

[2]- المصدر نفسه، ص 35.

[3]- المصدر نفسه، ص 35.

[4]- المصدر نفسه، ص 09.

لقد كانت أمه سببًا رئيسًا في تولد شعور الوحدة والوحشية لديه، خاصّة وأنه لم ير والدته منذ ذلك اليوم، يقول: «نسيتها وهي أيضًا نسيتني، لم تأت يومًا لرؤيتي [...] لو وضعوها أمامي بين نساء أخريات لما استطعت التعرّف إليها. تلك المرأة قصفت عمري وشردتني في بلاد الله»[1]. ويقول أيضًا: «لم يصلني أنّها بحثت عنّي يومًا»[2].

وتزداد مشاعر الاغتراب وتختل القيم وتسود الاستغلالية التي تصبح حكم العلاقات بين البشر وتفاعلها بين علاقة الابن بأمه، فهذه الشّخصية تعنى أنّ هناك حيز ما في علاقاته مع أمه منذ طفولته، فهذه الأم لم تكن تعتني بولدها، بل كانت تفضل حيواناتها لأنها ترى عليها نفعًا، بينما هو لا يستطيع أن يقدم لها شيئًا يقول: «كانت تُعنى بالدجاجة المريضة، تحملها النهار بطوله كي تبعدها عن نقرات الديوك، تُطعمها الحبّ بيدها، ولا تتركها إلاّ بعد أن تتعافى. تصلي للنعجة التي تتعسر ولادتها، تبقى قربها تمسّد على رقبتها تغنّي لها، ثم تزغرد حين ترى الحمل يتحرّك في مشيتها، وكانت تبكي حزنًا لسماعها ثغاء الحملان المفطومة عن حليب أمّها.... إلاّ أنا. أيّامًا عديدة لم تكن تلتفت ناحيتي. كانت تدلق المياه الساخنة على رأسي وتصرخ فيّ إن اشتكيت أنا، لم يكن لي أيُّ فائدة، لا بيض ولا حليب ولا لحم. كنت مجرّد بطن فاغرِ فاه. ثمّ أبعدتني إلى مكان هي لا تعرف عنه شيئًا»[3].

لذلك كان يشعر بالفراغ لعدم أهميته عند أمه يضيف قائلا: «أنا قذفتني أمي في قطار الأرياف ككيس القمامة»[4].

وتعبر شخصية المومس عن مأساتها، فأمها وأخوها كان سببًا في هجرتها، لقد حاولت البحث عن مكان جديد بعد طلاقها تستطيع أن توفر منه مالاً لتشبع طمع والدتها

[1]- هدى بركات، بريد الليل، ص 17.

[2]- المصدر نفسه، ص 17.

[3]- المصدر نفسه، ص 18.

[4]- المصدر نفسه، ص 19.

التي لا تكف عن طلب المزيد منها، دون إكتراث لإبنتها ولحالتها النّفسية، تقول: «لا أدري ما الذي غيّرها إلى هذا الحدّ، باختصار، كلّ ما أرسله إليه بات لا يكفي، تقول أنّ أمّ فلانة وأم علتانة صارتا من الأغنياء، والنّاس تعمّر بيوتًا وبنايات وتشتري أغراضًا بمئات الدولارات»[1].

إنّ قسوة هذه الأم وجشعها وطمعها جعل ابنتها تحسّ بعدم وجودها، إنها لا تمثل الأم الطبيعية بحنانها ورأفتها ودعمها لأبنائها ما يُهمهما هو المال فقط لا غير، تقول: «الأم آخر قلب للإنسان في الحياة. وأنا فقدتُ أمّي [...] ولأنّها أمُّنا، أيْ أمُّك أيضًا، ها أنا أكتب إليك يا أخي. والحقيقة أنّي أنا فقدتُها قبل أن تموت»[2].

وتقول أيضًا: «صرتُ أتذكر من ألمي وقهري، أنّ أمي كانت سبب زواجي التّعيس وأنا بعد لم أتمّ الرّابعة عشرةً، وهي لم تغفر لي طلاقي، ولا أنتَ، بل كنتما سبب هجرتي إلى هذا البلد وعملي خادمةً في بيوت النّاس وفي تنظيف وسخ بشر لا أعرفهم، في حمّامات المطاعم وغرف الفنادق»[3].

لم تتقبل الأم فكرة طلاق ابنتها، وأصبحت ترى أنّها عبء عليها، وكذا حفيدتها التي قامت ببيعها لثري غريب مقابل الحصول على المال، كما فعلت سابقًا مع أمّها، تقول: «ألم تقم ببيعي لزوجي في مقابل المهر الذي جهّز وأراح رجال العائلة؟ لم أر فلسًا واحدًا. عدا ثمن تذكرة الطّائرة لأختفي عن وجهها بعد طلاقي»[4].

وتقول أيضًا: «أفهمتني أنّ أمي زوجت ابنتي بالقوة، سافرت إليها وجدتها تعمل خادمة ورقّاصة في بيت هو أقرب إلى الماخور. تزوجها كما عشراتُ غيرها [...] رُحت أسأل أمي لماذا باعت البنت وأنا أرسل لها الكثير من المال»[5].

---

[1]– هدى بركات، بريد الليل، ص 76.

[2]– المصدر نفسه، ص 76.

[3]– المصدر نفسه، ص 77.

[4]– المصدر نفسه، ص 77.

[5]– المصدر نفسه، ص 80.

تشعر هذه المومس أنّها مستلبة وغير قادرة على التّحكم في حياتها وأخذ القرارات التي تخصّها، وإنّما كانت لعبة في يد والدتها تتحكم في مصيرها ومصير ابنتها من بعد سفرها لقد بقيت تائهة وحائرة، تتساءل عن السبب الذي غير حال والدتها بعد طلاقها، تقول: «لماذا صرت قاسية مع العمر؟ معي ومع ابنتي أيضًا... تلك التي تلقفتها من بطني إلى قلبك. لماذا كرهتني بعد طلاقي وأردت نسياني وموحيّ من حياتك. [...] لماذا هان عليك تشرُّدي وتمرُّغي في وحل الخدمة»[1].

إنّ ابتزاز والدتها المستمر، وطلباتها الكثيرة، ومقارنتها بغيرها من بنات بلدها اللّواتي هاجرن وأصبحن يوفرن الكثير من أموال لعائلتهم، فهذا ما يوضحه المقطع التّالي: «ولا أحد يسأل نفسه من أين هذا كلّه بما أنّ البنت محجّبة، وأحيانًا كثيرة منقّبة، فكيف لأحد أن يشكّك في أخلاقها»[2].

جعلها تقرر أن ترضخ لمجتمعها وللصورة التي يريدها أن تكون عليها، ليرضى عنها الجميع تحقق لهم أحلامهم دون أن تكترث لنفسها، «فالرضخ للمجتمع ظاهريًا والنفور منه ضمنا هو أحد النتائج السلوكية لظاهرة الاغتراب»[3]. تقول معبرّة عن تحولها إلى مومس: «بكيت بحرقة على حياتي، وقرّرت أن أشتغل مومسًا [...] الفرق بين امتهان وآخر؟ وحده المال سيرفعني قليلاً عن روائح المراحيض وأوساخ الحضيض، بما أنّ أمّي، أمّي التي هي أمّي، بدأت تضهدني»[4]. وكذلك تقول: «سافرت إلى البلاد محمّلة إلى أخمص قدّمي»[5].

هكذا يصل اغتراب المرأة وإستلابها ذروتها، لأنّها غالبًا ما تزوج دون إذن منها، إذ ليس لها الحق في إبداء رأيها في الزّوج فذلك يُقرره عنها الأب والأخ، فالزّواج بهذه الصفة وفي «معظم أشكاله سلوك إجتماعي يتراجع فيه دور الفرد المعنى (المرأة) الرئيسة الفردية

[1]– هدى بركات، بريد الليل، ص 82.

[2]– المصدر نفسه، ص 77.

[3]– بسام خليل فرنجية، الاغتراب في أدب حليم بركات، ص 209.

[4]– هدى بركات، بريد الليل، ص 77.

[5]– المصدر نفسه، ص 78.

لصالح المعايير الاجتماعية والأسرة، تسلب المرأة إذ ذلك تمامًا ويصادر قرارها»[1]. في أهم خطوة تؤسس لحياتها المستقبلية قبل أن يكون الزّواج عاملاً من عوامل تحقيق المرأة لذاتها يصبح إحدى أهم مصادر اغترابها واستلاب حقوقها وشخصياتها، لأنّه أساسًا لم يقم على حرية الاختيار، وإنّما جاء فرضا وإجبارًا.

لم تشعر هذه المومس يوما بإحساس الحب والحنان من قبل أمها لها، بل كانت مجرد وسيلة تحصل من خلالها على ما تريده من أموال، هذه العلاقة المشبوهة بين الأم وإبنتها خلقت نوعًا من اللامبالاة عند البنت، وغيرت شخصيتها، فلم تكترث لما يحدث حولها، لقد اختلت القيم والمعايير لديها حتى إنّها تركت والدتها تموت دون أن تسعفها وقامت بسرقتها وتزوير بعض المستندات تقول موضحة ذلك: «قلَبْتُ البيت ووجدت ذهبًا وفضّة. وجدت صكّ ملكية البيت وزورت توقيعك وتوقيع أمي ورشوت من رشوتُ، وبعتُه هل أنا من سحب مصاغها وغوائشها من يديها ورقبتها وهي على فراش الموت؟ نعم أنا. هل تركتها تموت وحدها ولم أستدع حتى طبيب المستوصف المجّانيّ؟ نعم، صحيح. لكن ليس صحيحًا أنّي خنقتها بوسادتها كما ألمحت إليّ يومًا»[2].

كما فعلت ذلك لاحقًا مع المرأة التي كانت تستخدمها لمساعدتها في أعمال البيت في البلد الذي هاجرت إليه، تقول: «نعم رأيتها حين وقعت مدمّاةً في الحمّام، أغمي عليها، قلت في نفسي، وتركتها. سرقت كلّ علب مصاغها وصندوق مجوهراتها، وسرقت مالاً كان في دُروج مكتب زوجها. خرجتُ وأقفلت الباب بمفتاحي، وكنت أنا من أعلم الشّرطة باكتشافي الجثة بعد عودتي إلى الشّقة، كأنّي وصلت لتوّي»[3].

[1]– صالح إبراهيم، أزمة الحضارة العربية في أدب عبد الرحمن منيف، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2004 ص 68.

[2]– هدى بركات، بريد الليل، ص 81.

[3]– المصدر نفسه، ص 81.

فكما حدث مع والدتها، أخفقت هي أيضًا في خلق علاقة صحيّة مع ابنتها، فعاشتا كالغريبتين في بيت واحد وهو ما يوضّحه المقطعان الآتيان: «عُدت وابنتي إلى البلد دون أن تُكلّمني مرّة واحدة، أو تردّ على أسئلتي»[1].

«وأنظر إلى إبنتي أمامي، هي وحدها، وأنا وحدي صرتُ أكثر غربة منذ صارت معي، تتفرج على التلفزيون بعينين شاردتين، لا أعتقد أنّها بكماء، هي تريد فقط تعذيبي لأنّها تكرهني»[2].

تمثّل كذلك شخصية الشاب المخنّث (الشّاذ) نموذج الإنسان المغترب اجتماعيًا ونفسيًا الذي تمرّد على قيم المجتمع واختار الهجرة إلى بلد أوروبيّ، يستطيع فيه أن يحافظ على هويته، الجنسية، التي يرفضها المجتمع العربي، وتشكل فضيحة لأهله، لم يختر هذا الشاذ أن يكون هكذا، ولم يعرف الذي جعله على تلك الهيئة، لكنه في ذات الوقت لم يستطع التّخلي عن هذه الشّخصية، وهو ما يتعارض مع محيطه المحافظ ويعرِضُه لأنّ يكون منبوذًا يقول: «كان الكلام صعبًا دائمًا بيننا [...] كنت أحلم بالجلوس قريبًا منك، بأخذ يديك بين يديّ، وإلقاء رأسي على كتفك، أحكي لك وتحكي لي»[3].

كان والد هذا الشّاب يعتبره مريضًا وينتظر شفاءه بمرور الزمن وهو ما لم يحدث وكان الابن يتحسّر وهو يرى والده يتألّم بسبب شذوذه، يقول: «كان ألمك يؤلمني كثيرًا. وددتُ أن أختفي. تضرّعتُ كثيرًا إلى اللّه ليشفيني»[4]. لقد كان يحسّ بالدّونية وبِاختلافه عن باقي أفراد مجتمعه وبقي في حيرة من أمره لا يجد حلاًّ لمشكلته إلى أن وصل إلى مرحلة قبول ذاته والوقوف في وجه المجتمع بعاداته وتقاليده، بعد أو وجد من يحبّه كما هو

[1]- هدى بركات، بريد الليل، ص 80.

[2]- المصدر نفسه، ص 83.

[3]- المصدر نفسه، ص 85.

[4]- المصدر نفسه، ص 88.

ويتقبله، يقول: «لكّني كبرت، وكففتُ عن كوني لعنةً أو مرضًا. الآن أنا من هو أنا. لأنّ هناك من أحبّني غيرك. عدت جميلاً ومرغوبًا»[1].

وفي حديثه عن أسباب الهجرة، ينوّه إلى أنّه هرب من القياصرة، يقصد بهم المجتمع بما يمليه من قواعد وقوانين عليه أن يسير وفق ما يكون مقبولاً ومعترفًا بوجوده، وإن خلافه يكون مصيره النبذ والطرد، يقول: «أبي، أنا لم أترك البلاد هربًا منك أو من الحروب، ولا من أجل أن أُكمل تعليمي وأُحسّن شروط مستقبلي... أو إلخ، إلخ. أنا هربت من القياصرة ولحقت بالغراب الذي أحببتُ، والذي لم يكن قد تبقى لي غيره»[2]. ويقصد بالغراب صديقه الذي هاجر معه، لكّنه في مكان اغترابه لم يجد الحياة التي كان يبحث عنها، حيث عاش متشردًا، وفقيرًا، وانتهى به الأمر مريضًا، لذلك كتب رسالة لوالده يطلب منه المغفرة والموافقة على عودته إلى بلاده، يقول: «أنا الآن متشرد، مريض وأعور. ليس معي نقود، ولا عندي مكان أنام فيه، تعبتُ، وأريد العودة إلى البيت»[3].

وفي نفس المسار سارت المرأة الخمسينية، حين توضح كيف أنها مع مرور الوقت والزّمن أصبحت لا تبالي بما يفرضه المجتمع من قوانين وكيف أنّها تسير في حياتها وفق ما يناسبها، ضاربة عرض الحائط بكلّ ما يمكن أن يتعارض مع قيمتها الشّخصية، تقول: «هذه رغبة في الذهاب ناحية منطقة رجل لا أعرفه، إلى مكان آخر، مختلف، منطق أنانيّ، منعتق وحرّ وفالت، لا يطلب موافقة الآخرين، موافقة الأخلاقييّن أو الجماعات المتكاتفة حول المبادئ والقوانين والأصول»[4].

وقد حدث ذلك بعد زمن طويل، وبعد صراع، وبعد محاولات عدّة لتصل إلى هذه القوة في مواجهة المجتمع، تقول: «إذ أمضيتُ زمنًا طويلاً من حياتي وأنا أشدّ الأشياء في اتّجاه

[1]- هدى بركات، بريد الليل، ص 88.

[2]- المصدر نفسه، ص 89.

[3]- المصدر نفسه، ص 94.

[4]- المصدر نفسه، ص 37.

المنطق المعمول به، قبل أن أتعب تعبا شديدًا وأقلع عن الشدّ في اتجاه منطق الآخرين»[1]. وهذا ما يوضّح أنّ المهمة ليست سهلة، وأن الخروج عن مجتمعه بأكمله يتمسك بعاداته وقوانينه ومقاييسه الخاصّة، يتطلّب من الفرد الذي يريد مواجهته صبرًا وشجاعة، حتى يصل إلى تحقيق ما يراه هو أساسًا لبناء كيانه وشخصيته، رغم كونها مخالفًا للسائد والمتعارف عليه ضمن بيئته، وهو ما يحقق له الاستقرار والراحة التي يطمح إليها حتى وإن كان ضمن ذلك الانسحاب والعزلة والبقاء وحيدًا وتشبه المرأة نفسها بذلك العصفور التي كانت تتأمله من خلف النافذة، والذي رأت فيه تعبيرًا عن حالتها، تقول: «عصفور بلا سرب يقلّده أو يتعاطى معه. عصفور وحيد رائق المزاج في مدينة كبيرة لا يرى منها شيئًا. ربّما بسبب تقدمه في العمر لم يعد في حاجة إلى أحد، هو أيضًا»[2].

إن القيم الاجتماعية كالعادات والتقاليد والقوانين التي يفرضها على الفرد تشكل ضغطا ضد تقدمه الذي يطمح الوصول إليه، فهي دائما ما تقف عائقا أمامه، تعرقل نشاطه وتشل فعاليته، مما يخلق في حالته النفسية الإحباط والصراع والحرمان، وتشكل لديه عقدة نفسية مصحوبة بمشاعر سلبية كالعجز والقهر وفقدان الأمل في الحياة.

3- الاغتراب السّياسي:

يقصد بالاغتراب السياسي بأنه: « أن يعيش غريبًا في وطنه يكابد ويعاني دون أن يكون له رأي مسموع أي طلب مجاب أو إطمئنان إلى النظام الحاكم في بلده»[3].

لقد كان الاغتراب السّياسي عاملا من عوامل هجرة شخصيات رواية بريد اللّيل، كما يظهر ذلك من خلال بوح العديد منها في رسائلها، فالدول العربية تعاني العديد من المشاكل السياسية والاقتصادية، «كونها لم تراع تحقيق التنمية أو الحرّية مع فائض من العنف

[1]- هدى بركات، بريد الليل، ص 36-37.

[2]- المصدر نفسه، ص 39.

[3]- عمر بوغروة، الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث، ص17.

والحروب والفساد، ما دمّر بُنى الأوطان فاضطرت شعوب تلك البلدان للهرب والعيش في ظروف بالغة السوء، حيث تتعرض للاحتقار، أو سوء المعاملة في الدول الغربية»[1].

إنّ الأنظمة العربية في معظمها تقوم أساسًا على الديكتاتورية والاستبداد بالحكم، ما يجعل شعوبها تشعر بالعجز عن التأثير في القرارات السياسية، وبالتالي اِنعزالها وتهميش رؤيتها في تسيير الأمور التي تهمها، فينتج عن ذلك عدم رضا عن علاقة الحاكم والمحكوم ومن ثمّ انفصاله عنه وحدوث خلل في تلك العلاقة.

إنّ السلطة في الدول العربية عادة ما تستأثر بالحكم لنفسها وتحرم المواطن من المشاركة في العملية السياسية، لينتهي الأمر به في آخر المطاف إلى الانفصال عن البنية السياسية والتخلّي عن الإندماج فيها، كونه يعيش في ظل واقع يعطى للأقلية حق الاستئثار بالسلطة لتحقيق مصالحها الخاصة وتعمل المصلحة العامة من خلال سيطرتها على القرارات وتوزيع الموارد في الدولة بطريقة غير عادلة، ويظهر العديد من المقاطع استبداد الأقلية بالحكم وتهميش الأغلبية التي باتت خاضعة لها قسرًا وإجبارًا، تقول إحدى الشّخصيات متسائلة: «هل حدث أن اخترنا يومًا»[2] بمعناه أنّ المواطن لم يكن له الحق أو لم تتح له فرصة الاختيار ولو لمرة في حياته.

ويقول آخر معبّرًا عن تحكم السياسة في زمام الأمور «السياسة ليست من اختصاصنا. هم ضليعون فيها ولديهم أجهزة وملفات وهم مصدر معلوماتنا»[3].

ويضيف قائلا: «كان من الأفضل أن أصدّق أقوال أسيادي ورؤسائي وتعاليمهم»[4].

كذلك تظهر الرّواية، سلوكيات أصحاب السّلطة تجاه المواطنين، حيث تحرّمهم من أبسط حقوقهم، ومن التّعبير عن آرائهم بحرّية، حين تقوم بمراقبتهم والتجسس عليهم، وبسجن

[1]– مجموعة مؤلفين، قضية فلسطين ومستقبل المشروع الوطني الفلسطيني، المركز العربي للأبحاث، دراسات السياسات ط1، بيروت، 2015، ص 561.

[2]– هدى بركات، بريد الليل، ص 89.

[3]– المصدر نفسه، ص 57.

[4]– المصدر نفسه، ص 56.

بكل ما يُخالف سياستهم وذلك ما يوضحه المقطع الموالي: «حتى حين نبتت مقاهي الأنترنت كالفطر [...] كانت غالية الثّمن وينقطع خطّها باستمرار. إلى جانب أنّها كانت مراقبة من الحكومة، ولعلّ الحكومة نفسها هي من كان يقطع الخطّ. وبأيّ حال لا يستطيع من يستعملها أن يقول ما لا يُعجب. أو يُخيّل إلى النّاس، من خوفهم، أنّ الحكومة تراقب كلّ شيء، حتى الهواء الذي ينقل ذبذبات الكهرباء»[1].

فالعلاقة بين الحاكم والمحكوم لا تقوم على الثّقة والأمان، بل على الخوف، الذي زرعته السّلطة بسبب ممارساتها العنيفة، حيث يروي أحد الهاربين العنف الذي تعرض له بعد أن تمّ اعتقاله من قبل السّلطات، دون علمه بالسبب، يقول: «لم يقل لي أحد لماذا أتى العساكر وأخذوني من البيت. بدأوا بالضرب من دون أسئلة أو تحقيق أو تهمة. كانوا يضربونني ويتركوني على الأرض، ثم يجرّونني إلى غرفة صغيرة يعودون إلى سحبي منها وإلى الضرب من جديد»[2].

ثم ينتقل إلى الحديث عن أساليب التّحقيق اللاإنسانية، التي استخدموها معه بعد اعتقاله، يقول: «كانوا يتبولون عليّ ويتغوّطون أيضًا [...] لم أعد أبالي بالألم، لكّن الخوف الذي دخل روحي جعل أوقات "الرّاحة" عذابًا خالصًا. ليس الخوف من الموت. جهنّم لا تكون أقسى عليّ من هنا. هو خوف لا أعي مصدره. يأتيني حين أكون وحدي»[3]. لقد تسبب هذا العنف في زرع الخوف وهلع رهيب في هذا الإنسان، وحرمانه من استقراره النّفسي علاوة على ذلك قاموا على إجباره على التوقيع على اعترافات كتبوها هم، وبالقوّة: «وأنا حتى الآن لا أعرف، لا أدري ما كان في داخل أوراق الاعترافات والندم التي وقعناها بالدّم، كما طلبوا منّا»[4].

---

[1]- هدى بركات، بريد الليل، ص 124.

[2]- المصدر نفسه، ص 54.

[3]- المصدر نفسه، ص 54-55.

[4]- المصدر نفسه، ص 62.

ذلك العنف، وتلك الوحشية التي تعرّض لها أثناء تعذيب جعلته يعترف بأشياء لم يقم بها، فقط من أجل الخلاص، يقول: «قلت: لم أرد أن أعترف. أنا بالفعل كذبت عليكم وقمت بكلّ ما تتّهمونني به. قالوا يجب أن تبرهن على صدقك وتوبتك. قلت: أبرهن. قالوا: تتعاون معنا، وتفعل كل ما نأمرك به. ونحن نراقبك، وسنعرف»[1].

كذلك تظهر الرّواية أنّ المواطن العربي لا قيمة له، فالسلطة تضطهده وتُعنِفه إنّه مجرّد رقم، لا يعني وجوه أو عدمه شيئًا لها، يقول السّارد معبرًا عن هذه الحقيقة: «كما حدث معي وأنا أضرب أحد المتفلسفين العملاء، فطارت الهراوة من ظهره إلى رأسه فأعطاكم عمره قال الريّس: ضع عليه رقمًا وألقه بعيدًا»[2].

كذلك يظهر المقطع الموالي المعاملة السيئة للمواطنين من قبل العسكر «عملت عند ذلك العسكري الانقلابيّ [....] وكان في كلّ مداهمة لمفتشيّ وزارة التّشغيل يفرّع المكاتب من الموظّفين. نكّر على أدراج القصر الفخم كالنعاج إلى الشّارع، وننتظر في المقاهي أن يأتي إلينا الحارس، القبضاويُ الموكل بالأمن، ليصفّر لنا بأن عودوا»[3].

كما ينتشر الفساد داخل الأجهزة السياسية في الوطن العربي، حيث تحتكر الطبقة الحاكمة جميع الموارد والخيرات وتستأثر بها لنفسها، في حين يعيش المواطن الفقر والذّل، ما يجعله يفكر في الهجرة، ويوضح المقطعين التاليين فساد العساكر في الوطن العربي: «الزّعيم العسكري، سارق ثروات بلده، مهرّب المخدرات»[4].

ويضيف السارد قائلا: «الذي هرب من بلده أتواطأ مع زعيمها "التاريخي" للابتعاد قليلاً، لعلّ النّاس تنسي مجازره كان يحاضر فينا، بعد جمعنا بالقوة في القصر الذي اشتراه

[1]- هدى بركات، بريد الليل، ص 55.

[2]- المصدر نفسه، ص 57.

[3]- المصدر نفسه، ص 25.

[4]- المصدر نفسه، ص 26.

وحوّله إلى مقرّ»[1]. إنّ أموال المواطنين يتصرّف فيها هؤلاء ويحتكرونا من أجل قضاء حوائجهم وتحقيق مصالحهم الشّخصية.

فالاغتراب السياسي: «هو شعور الفرد بالعجز إزاء المشاركة الإيجابية في الانتخابات السياسية وعبرة بالصدق عن رأي الجماهير، وكذلك الشعور بالعزلة عن المشاركة الحقيقية الفعالة في صنع القرارات المصيرية المتعلقة بمصلحة واليأس من المستقبل على اعتبار أن رأيه لا يسمعه أحد، وإن سمعه لا يهتم به ولا يؤخذ به».[2]

وغالبًا ما يتفشى الفساد السّياسي في البلدان التي تعتمد الاستبداد في تسيير العملية السياسية، فيقوم الحاكم بِاحتكار السلطة، ويلغي مشاركة الآخر حتى يتخلّص من المحاسبة والمراقبة والمساءلة، فيسهل عليه استغلال المال العام تسخيره ولتحقيق مآربه الشّخصية متغافلاً عن المصلحة العامة.

تؤدي هذه السلوكات المخالفة للقوانين إلى تركيز ثروة الدولة في يد فئة قليلة من المجتمع في حين تبقى الفئة الكبيرة تعاني الفاقة والحرمان وتصبح اللاعدالة.

سمة هذا المجتمع الذي يعصف به اللاِستقرار، ويسوده العنف والحروب والثورات كردّة فعل طبيعية للمواطن على انتهاك حقوقه وحرمانه منها، وهو ما توضحه الرّواية حيث أنّ العنف والحرب انتشر في كلّ تلك الدوّل العربيّة التي كانت الديكتاتورية الغالبة على نظام حكمها، حيث يصف أحد رجال الحكم في المشهد الموالي غضب الشعب وثورته ضدّ الحكومات: «حين انقلب العالم، اختفت الرّؤوس الكبيرة فجأة، وهجم علينا النّاس في مقراتنا تحولت مظاهراتُ الملحدين الفاسقين والأوباش إلى أنهار من البشر. لا أدري الآن كيف

[1]– هدى بركات، بريد الليل، ص 25.

[2]– عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات سيكولوجية الاغتراب، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2002 ص97.

تحصلتُ من أيديهم التي نزلت عليّ بالضرب من كل جهة، بالأيدي والعصيّ والحجارة هربت»[1].

إنّ هذا الانفجار إحتقان شديد في وجه السّلطة لم يأت صدفة بل جاء نتيجة شديدة في الحياة السياسية وفساد كبير في الإدارة، حيث يعبر الشّعب من خلال ثورته عن رفضه لذلك الواقع المرّ، وعن قلقه وإحباطه واغترابه الذي تبلور في شكل عنف فالثورة ما هي إلا نتيجة حتمية وطبيعية لإغتراب المواطن وانفصاله عن البنية السياسية وفقدان ثقته في القائمين عليها يقول أحد السائحين الذين زاروا الدول: «أين كان قابعا كل هذا الحقد؟ هل هذه الكراهية؟ وهذا العنف الهائل، الذي لم أسْتشعر آنذاك بأي من ذبذبات العميقة؟ كان الجبل بركانًا ولم أر منه سوى القمة المغطّاة بالثلوج ككلّ السيّاح ربّما»[2].

وكذلك كان نشوب هذه الثورات سببًا آخر لهروب النّاس واختيارهم الهجرة للخلاص من جحيمها يقول أحدهم موصفًا ذلك:

«ماذا نعرف عن بشر عاشوا حروبًا أهلية؟ خوفًا ودمارًا وخسارات وخيبات؟ وخوفا مُريعًا بلا شك كيف يتحولون. وما الّذي يتغيّر فيهم ويقسو؟ في المربع الأخير من الحياة ذلك الذي يغدوا الموت فيه قريبًا بشدّة لا يعود القلب سوى مضخة للاستعمال المفيد دم ساخن يدفق بقوّة في الأعضاء من أجل الهرب، لا من أجل أي شيء آخر، سوى الهرب»[3].

وقد جاءت شخصيات الرّواية مهزوزة تعاني من التوتر النفسي والقلق والحزن والكآبة فاغترابها خارج أوطانها واضطرابها للتأقلّم في مجتمعات غريبة عليها لم يكن ممكنًا في ظلّ الرّفض والنبذ الذي يوجه لها الآخر، ما جعلها تختار العزلة والانسحاب إلى داخل مساكنها أو الانتماء إلى مجموعات المتشردين والمنبوذين هناك، فكانت الغربة النفسية الاجتماعية مصيرًا لهؤلاء، وقد كان أساس هذه الغربة أمورًا أخرى تتعلّق بالظّلم والقهر والاضطهاد وخنق

[1]- هدى بركات، بريد الليل، ص 57، 58.

[2]- المصدر نفسه، ص 106.

[3]- المصدر نفسه، ص 107.

الحريات داخل المجتمعات العربية، وهو أيضا ما كان أساسًا للاغتراب السّياسي إضافة إلى الفقر المادّي والتخلّف والرغبة في البحث عن أماكن أخرى لتحسين الوضع الاقتصادي وهروبًا من الحروب والصراعات التي أبادت معظم النّاس، وكان كل ذلك سببا للاغتراب المكاني والهجرة أصلا في الأفضل، لكن الأوضاع بقيت على ما هي عليه في المهجر، ما جعل معظم الشخصيات ترغب في العودة إلى أوطانهم.

لقد رصدت الرّواية مجموعة من صور الاغتراب المنتشرة في المجتمعات العربيّة خاصّة تلك الغير مستقرة منها والتي تنتشر فيها الحروب والصراعات السياسية، والتخلف بكل مظاهره.

خاتمـــــة

خاتمة:

لقد حاولنا من خلال بحثنا هذا الكشف عن مظاهر الاغتراب في إحدى الرّوايات العربية، ألا وهي "بريد اللّيل" لهدى بركات، فعرضنا أهمها وتحدثنا عن نماذج الشّخصيات مغتربة كما بيّننا مصادر اغترابها وردّة فعلها اتجاه غربتها.

ويمكن حوصلة النتائج التي توصلت إليها الدّراسة فيما يلي:

1- الاغتراب كظاهرة إنسانية متشابكة، تتداخل فيها جميع الظروف المحيطة بالفرد، سواءًا أكانت نفسية، وتتمثّل أساسًا في التنشئة التي يتلقاها الفرد، أو الحضارية التي تعود إلى جملة من العوامل المحيطة بالفرد.

2- تقمص مصطلح الاغتراب دلالات عدّة تطوّرت بتطوّر الزّمن ثمّ اختلفت باختلاف الثقافات، ولكن تمّ الاتفاق على اِشتماله بمعنى الانفصال، سواء أكان ذلك عن الذّات أو عن الآخر.

3- تعاني الشّخصية المغتربة من اضطراب في العلاقة مع الآخر وقد يكون هذا الآخر أجزاء أو بنى اجتماعية أو مؤسسا سياسية، وتختلف ردة فعل الفرد المغترب فهو إما أن يكون مستسلمًا وخاضعًا، أو متمردا على قواعد المجموعة، ورافضا الالتزام بها أو منعزلاً متفردًا على ذاته أحيانًا أخرى.

4- عبّرت رواية "بريد اللّيل" عن مختلف مظاهر الاغتراب، حيث صورت الإغتراب المكاني، عند تقديمها لنماذج شخصيات دفعتها الحروب والقلاقل والفقر في بلدانها العربية إلى البحث عن وجهة أخرى تكون أكثر أمانًا واستقرارًا، لكنها وجدت نفسها هناك في أوروبا في مأزق آخر، إذ تعرضت معظم تلك الشّخصيات للنبذ والرفض والمعاملة السيئة من الآخر، فأصبحت تعاني من مشاكل أخرى كالتوتر والقلق والكآبة، فجاء نصّها مُحملاً بمشاعر المنفى والغربة وكان البوح والاعتراف من خلال كتابة الرسائل أمرًا محتومًا للتخفيف من ألم ووجع المهجر.

5- تصوير الرواية اغتراب الشّخصيات اجتماعيًا ونفسيا، نظرًا لعجزها عن التأقلم والاندماج في المجتمع الجديد، وجسّدت أزماتها النّفسية واختيارها للعزلة والانسحاب والتوقع على الذات من أجل حمايتها.

6- الاغتراب السياسي أيضا من المظاهر التي طرحتها رواية "بريد الليل"، وذلك يكشف الستار عن الفساد والعنف والحروب والدّمار التي عرفتها المجتمعات العربية، والتي كانت النّخبة السياسية مصرًّا لها، حيث سعت هذه الأخيرة إلى ضمان مصلحتها المختلفة وإهمال المصلحة العامة، ما أدّى إلى رفض المواطن لهذه الممارسات وانفصاله عن البنية السياسية وبحثه عن وجهة أخرى (الهجرة) إلى بلدان أخرى بحثا عن واقع أفضل.

الملاحق

1- تعريف الرّوائية:

ولدت هدي البركات «في البلدة المارونية بشري عام 1952م، ثم انتقلت بعد ذلك إلى العاصمة بيروت لدراسة الأدب بالجامعة اللّبنانية وتخرّجت منها عام 1975م، بعد أن حصلت على الماجستير في الأدب الفرنسي، ولكنها أرادت أن تستكمل دراستها العليا فسافرت إلى باريس، ثم عادت إلى بيروت سريعًا بسبب ظروف الحرب الأهلية هناك»[1].

«أصدرت عدة روايات ومسرحيتين ومجموعة قصصية بالإضافة إلى كتاب يوميات. وشاركت في كتب جماعية باللّغة الفرنسية. ترجمت أعمالها إلى العديد من اللّغات. منحتها الدولة الفرنسية وسامين رفيعين. من أعمالها الرّوائية "حجر الضحك" (1990)، "أهل الهوى" (1993)، و"حارث المياه" (2000) التي فازت بجائزة نجيب محفوظ لتلك السنة، و"سيدي وحبيبي" (2004)، وصلت روايتها الخامسة "ملكوت هذه الأرض" (2012) إلى القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرّواية العربية (2013)، وترشحت هدى بركات إلى القائمة القصيرة لجائزة ألمان بوكر العالمية للعام 2015 التي كانت تمنح (آنذاك) مرة كل سنتين عن مجمل أعمال الكاتب»[2].

وقد ترشحت للقائمة القصيرة للبوكر، و أعلنت لجنة تحكيم الجائزة العالمية للرواية العربية عن فوزها بالجائزة العالمية للرواية العربية لسنة 2019 في دورتها الثانية عشر، وقد اختيرت من بين ست روايات في القائمة القصيرة لكتاب من الأردن وسوريا والعراق ولبنان ومصر والمغرب.

[1]- https://www.alnrsal.com.

[2]- https://www.alarabyco.ur.

ملخص الرّواية:

رواية بريد اللّيل للكاتبة اللّبنانية هدى بركات، تتألّف من 126 صفحة، وثلاثة فصول هي كالتّالي: خلف النافذة، في المطار، موت البوسطجي، تمكنت الرّوائية من خلال روايتها من الكشف على الواقع الاجتماعي العربي، فيما يمر به من تهميش وفقر وظلم وحروب، وقد تناسلت الرّسائل بحيث تكون كل رسالة سببًا رئيسيًا في إنتاج رسالة أخرى مغايرة فالشّخصيات صاحبة هذه الرسائل اتخذت منها وسيلة للبوح والاعترافات بما يثقل كاهلها وما يؤرقها من هموم وما يجثم على صدورها من مكبوتات وآلام وأحزان بسبب ما لاقته في أوطانها من ظلم وتعسف وقهر.

وفيما يلي ما نص لمحتوى الرّسائل.

- الرسالة الأولى: كتبها رجل لحبيبته التي هجرها، ويستعيد فيها ذكريات الطفولة حيث تخلت عنه والدته وبعثته إلى منزل عمه، ثم يتحدث عن وضعه المزري في المهجر وإقامته الغير شرعية، وكيف أنه قبل العمل مع العسكر الإنقلابي ضدّ قيادة بلده، ثم عن محاولة تجديد جواز سفره للعودة إلى بلده، لكنه قوبل بالرفض فبقي عالقًا في أوروبا يعاني الفقر والنبذ.
- الرسالة الثّانية: كتبتها إمرأة خمسينية، تشعر بالوحدة بعد وفاة والدها وتعود بذكرياتها إلى الوراء لتقاوم تلك المشاعر، ثم تقرّر السفر من أجل لقاء حبيبها، القديم الذي هاجر إلى كندا، محاولة استعادة تلك اللّحظات الجميلة.
- الرسالة الثالثة: هي رسالة شاب تم تعنيفه من العسكر في بلده، حيث سجن وعذّب وأجبر على العمل معهم في الجوسسة، ولكي يتخلص من الجحيم الذي عاشه أثناء تعذيبه وبعد قيام الثّورة في بلده هاجر إلى بلد أجنبي وتعرّف فيه على امرأة مسنة آوته عندها، لعدم امتلاكه للإقامة الشّرعية وينتهي به المطاف بقتلها دون قصد، نتيجة للهلوسات التي كانت

تنتابه والتي كان سببها الأساسي ذلك العنف الذي تعرض له، وكان نهايته السّجن في الغربة.

- الرسالة الرّابعة: هي رسالة اِمرأة، مطلقة ولها بنت دفعتها ظروفها الصعبة إلى الهجرة لتوفير المال لأمها وابنتها، فعملت خادمة في الفنادق والمطاعم، نظرًا لجشع والدتها وتصبح في النهاية مومسا.
- الرسالة الخامسة: هي رسالة كتبتها شباب مثلي شاذ، هاجر إلى أوروبا هربا من ضغوط المجتمع العربي الذي لا يتقبله، فوجد صعوبات جمّة في المهجر، حيث لم يجد عملاً عاش مع المتشردين، والفقراء والمنبوذين تحت الجسور، وأصيب بالمرض، فكتب الرسالة لوالده يطلب منه أن يسامحه ويدفع له ثمن التذكرة من أجل العودة إلى وطنه.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع

محمد أمين أبو حاتم، التميمي البستر، صحيح اِبن حبان، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1993.

I-المصادر:

1.هدى بركات بريد الليل، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 2012.

II- المراجع باللغة العربية

أ- الكتب:

1. براهيم محمود، حول الاغتراب الكفكافي، ورواية المسخ نموذجًا، عالم الفكر.
2. ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مؤسسة المختار للنّشر والتوزيع، القاهرة، 2001.
3. اِبن باحة، تدبير المتوحد، تح: ماجد فخري، بيروت، لبنان، 1968.
4. اِبن باحة، رسائل اِبن باحة الإلهية، بيروت، لبنان، د.ت.
5. اِبن خلكان، وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت، ج5، 1972.
6. اِبن رجب الخبلي، كشف الكربة في وصف أهل الغربة، مطبعة النهضة الأدبية، د.ب ط1، 1332هـ.
7. أبو العلاء المعرّبي، لزوم ما لا يُلزم، دار صادر بيروت، 1961.
8. أبو الفتح الأصفهاني، "أدب الغرباء، تح: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد بيروت، لبنان، ط1، 1972.
9. أبو حيان التوحيدي، الإشارات الإلهية، تح: عبد الرحمان بدوي، دار العلم، ط1 بيروت، لبنان، ط1، 1981.

10. أحمد بن محمد المقري، التلمساني، نفخ الطيب من غضن الأندلس الطيّب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988.
11. أحمد علي الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي، دار عيداء للنشر والتوزيع، عمان ط1، 2011.
12. إقبال محمد رشيد صالح الحمداني، الإغتراب، التمرد، قلق المستقبل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014.
13. توفيق بكر الصديقي، أراجز العرب، د.ب.ن، ط1، 1313هـ.
14. جبر الله عمار، مبادئ علم النفس الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1984.
15. حليم بركات، الإغتراب في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ط1، بيروت 2006.
16. زهير بن أبي سلمى، الديوان، اِعتنى به وشرحه حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط2، 2005، ص 70.
17. الإمام الشافعي، الديوان، اِعتنى به وشرحه عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة بيروت، لبنان، 2005، ط2، ص 27.
18. رفيق حسنة، دراسات في الشعر السوي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1987.
19. رمضان جنوني، الإغتراب في شعر محمد الماعوط، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2015.
20. زامل صالح، "تحول المثال"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2003.
21. سالم بيطار، إغتراب الإنسان وحرية، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان 2003.

22. سميرة سلامي، "الإغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، دار الينابيع دمشق، ط1، 2001.
23. سهير عبد السلام، مفهوم الإغتراب عند هاربت ماركيوز، دار المعرفة الجامعية الأزاريطية، 2003.
24. شنا السيد علي، الإغتراب في التنظيمات الإجتماعية، مكتبة الإشعاع الفنية الإسكندرية، 1977.
25. طالب ياسين، الاغتراب تحليل الاجتماعي لأحوال المغتربين وأوضاعهم، المكتبة الوطنية، ط1، عمان، الأردن، 1996.
26. عادل الألوسي، "الإغتراب والعبقرية"، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2003.
27. عبد القادر عبد الحميد وديدانه، الغربة والتمرد في الشعر الجاهلي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، د.ت.
28. عزيز السيد حاسم، تأملات الحضارة والإغتراب، دار الأندلس، للطباعة والنشر بيروت، لبنان، ط1، 1987.
29. فاطمة حميد السويدي، الإغتراب في الشعر الأموي، مكتبة محبوني، القاهرة، 1997.
30. فاطمة طحطح، الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، منشورات كلية الآداب، الرباط ط1، 1993.
31. فريدة غيوة حيرش، من الوجود الرائف إلى الوجود الأصيل، مطبوعات جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، دت.
32. قيس هادي أحمد، الإنسان المعاو عند هاربرت ماركيوز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1980.
33. كاميليا عبد الفتاح، الشعر العربي القديم، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية 2008.

34. كمال الدسوقي، دخير علم النفس، دار الدولة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1988.
35. مجموعة المؤلفين، قضية فلسطين ومستقبل المشروع الوطني الفلسطيني، المركز العربي الأبحاث، دراسة السياسة، ط1، بيروت.
36. محمد الهادي بوطارن، الإغتراب في الشعر العربي الومانسي، دار الكتاب الحديث القاهرة، دط، 2010.
37. محمد زكي العشماوي، موقف الشعر من الفكر والحياة في العصر العباسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1981.
38. ناصر يعقوب، اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية، دار النشر، الأردن، ط1 2004.

ب- المعاجم

2.إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر، المعجم الوسيط، دار العودة اِسطنبول، 1989.
3.ابن فارس، معجم اللّغة، تحقيق عبد السلام هارون، المجلد الرابع، دار الجيل، ط1 بيروت، 1991.
4.اِبن منظور جمال الدّين، "لسان العرب"، دار الصادر، بيروت، ط2، المجلد الأوّل 1994.
5.أبو الحسن بن الحجاج القشيري والنيسابوري، الصحيح، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج1 حدث.
6.الجوهري، الصحاح، المجلد الأوّل، تح: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، القاهرة 1956.
7.شهاب الدين ياقوت الحموي، معجم البلدان، إشراف: فريد الرفاعي، مطبوعات دار الملايين، مصر، د.ت.ن.

8.محمد الدين الفيروز أبادي، المعجم المحيط، إعداد وتقديم محمد عبد العفور عطار، دار العلم للملايين.

9.محمد ناصر الدين الألباني، ضعيف الجامع"، ج2، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة الإسكندرية، مصر، دت.

ت- الكتب المترجمة

1. جون ماكوري، الجودية، تر: إمام عبد الفتاح، مراجعة فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة الكويت، 1982.
2. جون بول سارتر، الوجود والعجم، تر: عبد الرحمان بدوي، منشورات، دار الآداب، ط1 بيروت، 1966.
3. جون كرونشاك، ألبير كامي، وأدب "التمرد"، تر: جلال العشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986.
4. روحية لحارودي، واقعية بلا صداق، تر: حليم طومسون، دار الكتاب العربي، القاهرة 1968.
5. ريتشاد شاخت، الإغتراب، تر: كمال يوسف حسين، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر بيروت، 1980.
6. سيغموند فرويد، قلق الحضارة، تر: كمال حسين، دار الطبعة، بيروت، لبنان، 1979.

ث- المخطوطات

1)- الرسائل الجامعية:

1. أمينة بوعلامات، الشخصية المعربة في الرواية الجزائرية، رسالة الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة تلمسان، 2016، 2017.
2. بنعلي قريش، الإغتراب في الشعر العربي الحديث (1920-1945)، أطروحة دكتوراه جامعة بلعباس، 2006- 2007.

3. عبد الله عبد الله، الاغتراب النفسي وعلاقته بالصحة النفسية لدى طلاب الجامعة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، جامعة الجزائر يوسف بن خدة، 2007- 2008.

2)- المقالات والمجلات:

1. إبراهيم محمود، حول الإغتراب الكفكاوي، رواية المسح نموذجا، مجلة عالم الفكر، مجلد 15، عدد 02، 1984.
2. بسام خليل فرنجية، الإغتراب في أدب حليم بركات، مجلة فصول، مج، ع1، 1983.
3. فاطمة الطيب قزيمة، الإغتراب في شهر محمد الشلطامي، مجلة الجامعة، العدد 17 المجلد الثاني، أغسطس، 2015.
4. قيس النوري، الإغتراب اِصطلاحًا، مجلة علم الفكر، عدد خاص عند الاغتراب، العدد1، 1979.
5. مجلة المواقف، العدد 12، 1990.
6. مجلة عالم الفكر، عدد خاص حول الاغتراب، المجلد 10، العدد الأول، الكويت 1997.
7. نشيدة موساوي، متخيل المهجر ووجع الهوية بين البوح والاعتراف، قراءة تأويلية في رواية بريد الليل لهدى بركات، مجلة المدونة، المجلد 08، العدد 1، مارس.

III-المراجع باللغة الأجنبية

1- Livres :

1. Jean paul Sartre, La naussé, éeidtion Gallinard, Paris, 1938.

2- Dictionnaire :

1. Dictionnaire Quillet de la langue française, Tome 01, Librairie artistide Quillet, Paris, 1975.

2. Grand Larousse de la langue française, Volume1, Librairie Larousse, Paris, 1971.
3. Dictionnaire de psychologie, édition, didas, 1980.
4. Rarem Horney, La personality N.

III- المواقع الإلكترونية:

1. www.kotabaralia.com.
2. www.auvu.dam.org.
3. http://www.rae.es/ dictionaria. de. la. lengua. espenola/ la .23 a edicion.
4. سمر بكات، الإغتراب بين اِبن باجة، وأبو حيان، التوحيدي www. kotbarabia.com
5.سار نور الدين، الإغتراب بين القيمة المعرفية والقيمة الجمالية، مجلة الموقف الأدبي موقع اِتحاد العرب.www.awa.com

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وعرفان.

الإهداء

مقدمــة 1

الفصل الأوّل

ماهية الاغتراب وتجلياته في الأدب العربي

أولاً: المفهوم اللّغوي والاصطلاحي. 5

1- مصطلح الاغتراب 5

أ- التحديد اللّغوي 5

ب- المفهوم اِلاصطلاحي للاغتراب 10

ثانيًا: التصوّر الغربي والتصوّر العربي للإغتراب..... 11

1- التصور الغربي 12

2- التصوّر العربي 20

ثالثا: الإغتراب مظاهره وأسبابه وأشكاله. 27

1- مظاهر الاغتراب:..... 27

أ-العجز Powerlessness..... 27

ب- اللامعنىMeaning lessness..... 28

ج- اللامعيارية Normlessness: 28

د- العزلة الاجتماعية Social isolation 29

هـ- التمرد 29
و- الاغتراب عن الذّات Self estrongement: 29
2- أسباب الإغتراب 30
أ- الأسباب السياسية..... 30
ب- الأسباب الاجتماعية..... 30
ج- الأسباب النفسية 31
3- أشكال الاغتراب 32
أ- الإغتراب السياسي 32
ب- الإغتراب النفسي 34
ج- الإغتراب الاجتماعى..... 35
4- الإغتراب في الرواية العربية 38
أ- نماذج لروايات غربية عالجت ظاهرة الإغتراب 38
ب- الإغتراب في الرّواية العربية 41

الفصل الثاني

ماهية الاغتراب وتجلياته في الرّواية

1- الاغتراب المكاني 44
2- الاغتراب النّفسي والاجتماعي 52
3- الاغتراب السّياسي..... 63
خاتمـــة 64

الملاحق..... 64
قائمة المصادر والمراجع 64
فهرس المحتويات 64
الملخص.

الملخص:

هدفت هذه الدّراسة إلى استجلاء أنواع الاغتراب، التي جسدتها رواية "بريد اللّيل" من خلال مجموعة من الشّخصيات اِختارت الهجرة عن أوطانها إلى دول أجنبية باحثة عن الأمان والاستقرار المفقود بسبب الحروب والصّراعات الدّاخلية، لكّنها واجهت مصائر مفجعة في البلدان الجديدة نتيجة لعدم قدرتها على التأقلم بسبب النبذ والرّفض من طرف الآخر.

الكلمات المفتاحية:

رواية – الاغتراب – الهجرة – الرّفض.

Résumé :

Cette étude visait à clarifier les types d'aliénation incarnés dans le roman le "courrier de nuit" à travers un groupe de personnages qui ont choisi d'émigrer de leur pays d'origine vers des pays étrangers à la recherche de sécurité et de stabilité perdues à cause des guerres et des conflits internes, mais qui ont fait face à des destins tragiques. Les nouveaux pays en raison de leur incapacité à s'adapter en raison de l'ostracisme et du rejet de leur part.

Mots clés:

Roman – Aliénation – Immigration – Rejet.